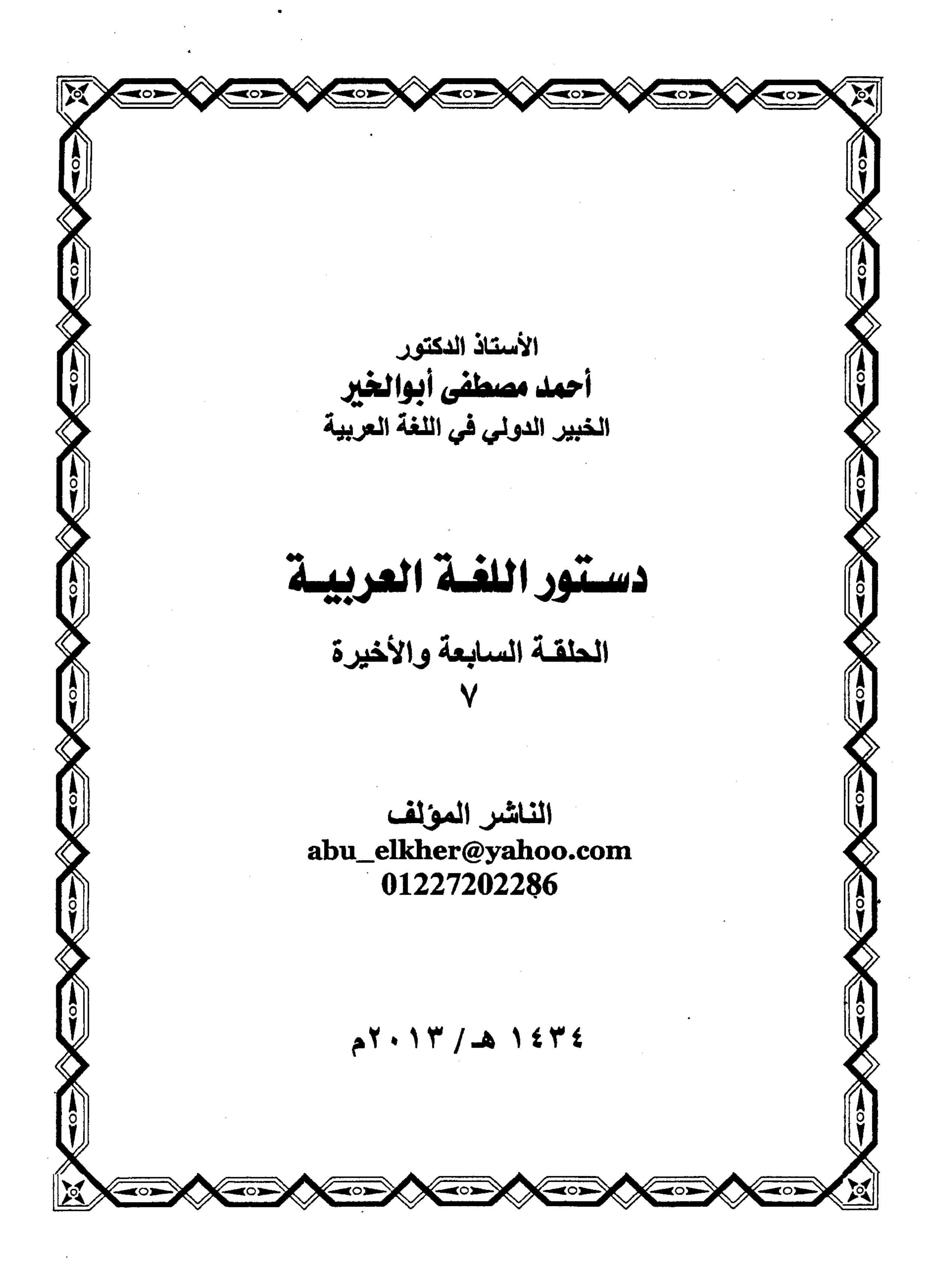


الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبوالخير
الخبير الدولي في اللغة العربية

دستور اللغة العربية

الحلقة السابعة والأخيرة

٧

الناشر المؤلف
abu_elkher@yahoo.com
01227202286

١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣م

تقدمة الحلقة السابعة والأخيرة

من دستور لغتنا العربية

نسجد لله ونضرع شكرا على تمام نعمائه بالفراغ من الحلقة الأخيرة من دستور العربية ، والذي نيف على الألف صفحة ، وزاد وفاض ، في ٧٥ مادة بشروحهن الوافيات المعمقات.

لقد أمد الله في عمري وبارك في الصحة والعافية حتى رأيت العمل الذي بدأ من سنوات وقد لاحت تباشير كماله واكتماله ، بصدور الحلقة السابعة والأخيرة من دستور لغتنا ، ولعله عمل غير مسبوق في اللغيات ـ تصغير لغات ـ الأخر إلى يوم الناس هذا.

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبوالخير
خادم اللغة العربية
دمياط الجديدة
٢٠١٣/٦/٦م

المادة الثامنة والخمسون
{٥٨}

تعبر العربية بشكل مهذب ورقيق ، لا يجرح المشاعر أو الأحاسيس ، وتستخدم دوما التعريض والكناية ، وقد تستخدم التلميح والإشارة ، بدل صريح العبارة.

هكذا اللغة العربية تعبر بشكل شديد الرقة والعذوبة ، بلطف وأدب جم ، نبدأ بشيء من شواهد القرآن الكريم :

١- في سورة يوسف [١] الصديق : (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) إن جملة (... همت به) شديدة الاختصار والإيجاز والاختزال ، وفي ذات الوقت مهذبة غاية التهذيب والتأدب ، إذ بعد : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ...) بعد هذا كله يقول القرآن عن زليخة امرأة العزيز فقط فقط (همت به) تعبير بسيط عن دعوة هذه المرأة إلى الفاحشة خيانة لزوجها ، عزيز مصر (بوتيفار) ولكن الكتاب الكريم صرف نظرا عن كل تلك الألفاظ إلى (... همت به) فقط ، فقط.

وبطبيعة الحال رفض نبي الله يوسف الصديق ، إذ لو استجاب لها لفقد النبوة ووقع في عار الدنيا وشنار الآخر ، ومن هنا فقد كان رد فعله أن نهرها وكاد

---

(١) آية ٢٤.

يضربها (لَوْلا أن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) وقد عبر القرآن عن رد فعل يوسف النبي (عليه السلام) بتيك الجميلة (وَهَمَّ بِهَا ...) وهذا ما يشاكل ما سبق (... هَمَّتْ بِهِ) أي الفعل هَمَّ هنا قد عبر عن كل ما فعلت زليخة ، وكذا عن رد فعل يوسف الصديق (عليه السلام).

٢- في سورة [1] غافر - أو المؤمن - أي مؤمن آل فرعون ، يقول المولى (عز وجل) : (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) همت كل أمة بمن أرسل إليهم ليأخذوه ، هذي الجميلة ، المكونة من فعل وفاعل ومفعول ، هذا الفعل (يأخذوه) يحمل في حناياه وجنباته كل ما يمكن أن يُقدم كل قوم إلى رسولهم من الإذايات والإهانات والتعديات والإجرامات ، الطرد والتهجير والقتل ، وسائر صفوف الإضرارات ، كل هذا تضمن في الفعل (يأخذ).

بعد هذين الشاهدين نميل إلى كتاب طريف بديع للقاضي أبي العباس ، أحمد ابن محمد (الجرجاني) ت ٤٨٢ هـ ، هذا الكتاب الموسوم بـ :

كنايات الأدباء

وإشارات البلغاء

نقتبس منه بعض الشواهد :

١- قال تعالى في صفة المسيح (عليه السلام) : (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ [2]) فكنى بأكل الطعام عن الغائط والبول ، لأنهما بسبب منه - الأكل - إذ لابد لها الأكل من البول والغائط ، والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان منه بسبب ، أو بسبب منه.

---

(١) آية ٥.
(٢) ٧٥ المائدة.

٢- تقول العرب : فلانة لا ترد يد لامس كناية عن الزانية المطاوعة [1].

٣- وتقول العرب في الكناية عن الزنا (ابن عجِّل) بتضعيف الجيم ، قال يزيد بن مفرغ الحميري (ت ٦٩ هـ) يهجو عبيد الله بن زياد وأباه :

شهدت بأن أمك لم تباشر   أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمرا فيه لبْس   على عجل شديد وارتياع

فكنى به عن الزنا ، لأن الزاني مستعجل ، ضد حال الفعل ، أي فعل الجماع ، ويقولون أيضا في ابن الزنا (ابن مطفئة السراج) إشارة إلى قول الأفيشر الأسدي ، وقد سماه رجل بلقبه ، يعيره به :

أتدعوني الأفيشر ذاك اسمي
وأدعوك ابن مطفئة السراج

٤- ومن الكنايات ما حكي أن أعرابيا خاصم امرأته ، فتبالقا - البلق الحمق - فلما هدأ التبالق والتحامق أخذ في مواقعتها ، فقالت له : قبحك الله ، كلما وقع بيني وبينك شر جئتني بشفيع لا أقدر على رده.

٥- وفي الكناية عن التفخيذ - دون الجماع - فلان يحوم حول الحمى ، أو يصطاد من الشط.

٦- وفي الكناية عن قلة غيرة الأزواج : (فلان لا يمنع الماعون) إشارة إلى قول الشاعر :

قالوا : يحب ، ولا يغار فقلت لهم   لا يمنع الماعون عندي من عقل

(١) كنايات الأدباء ... القاهرة ٢٠٠٣ ، ص٤٧.

٧- وفي الكناية عن الغائط أو البول : (فلان يقضي حاجة) وأحيانا يقولون : (فلان يقضي حاجة لا يقضيها غيره [١]).

أحد طلاب الأزهر عبر عن هذا المعنى بقوله : (فلان عنده لجنة) يعبر عن جلسة البول أو الغائط بلجنة الامتحان ، هذه اللجنة يمكن أن تكون سهلة أو صعبة ، متعجلة أو متأنية ، يشوبها الإسهال السريع أو الإمساك والبطء الشديد ، وهكذا.

بعض العامة في مصر يقول : (يعمل زي - مثل - الناس) فكل الناس بما أنهم يأكلون ويشربون فلابد من الذهاب للحمام.

٨- ومن أطرف ما قرأت في هذا الباب أن القحاب [٢] - بكسر القاف وفتح الحاء - يكنين عن شهر رمضان بشهر الكساد ، إذ يحكى عن امرأة فاسدة أنه قيل لها : ما حالك في شهر الكساد ؟ فقالت : يُبقى الله اليهود والنصارى.

ومن كتاب الكنايات الأدباء وإشارات البلغاء ننفلت وننقلب سراعا خفافا إلى كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري [٣] لنقبس منه شيا - شيئا - من باب (الكناية والتعريض) :

١- من القرآن الكريم : (أَوْ جَاء أَحَدٌ [٤] مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء) فالغائط كناية عن الحاجة ، وملامسة النساء كناية عن الجماع.

٢- ومن مليح ما جاء في هذا الباب قول أبي العيناء عندما سئل : ما تقول في ابني وهب ؟ قال : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ [٥]) سليمان

(١) السابق ، ص١٦٩.
(٢) مفرد (قحبة) الزانية.
(٣) دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص٤٠٧ وبعدها.
(٤) ٤٣ ، النساء.
(٥) ١٢ ، فاطر.

أفضل ، قيل له : وكيف ؟ قال : (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [1] ؟).

وشبيه هذا ما كان يردد أبي - رحمه الله - عن أحد جيراننا (أينما يوجهه لا يأت بخير) كناية عن قلة خيره وكثرة شره.

مقتبس هذا من قوله تعالى في سورة النحل : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ [2] مُّسْتَقِيمٍ).

ومن وسائل العربية في التعبير بشكل مهذب رقيق استخدام الكنى والألقاب.

وهذا ما يحتاج إلى مادة خاصة تالية تتحدث عن الألقاب والكنى ، وأيضا الأسماء.

(١) ٢٢ ، الملك.
(٢) آية ٧٦.

المادة التاسعة والخمسون
{٥٩}

ومن وسائل العربية في تعبيرها المهذب والرقيق الإكثار من استخدام الكنى والألقاب بشكل لا نجده في غير لغتنا.

من وسائل العربية العديدة في تهذيب العبارة ورقة الإشارة استخدام الكنية واللقب والإكثار منهما بشيء لا نجده في غيرها من اللغيات ـ اللغات ـ فقلما تجد إنسانا رجلا أم سيدة بدون كنية ، خاصة الأم ، بل الحرص على كنية المرأة ، وعدم التصريح كنوع من الأدب والذوق في الكلام ـ باسم المرأة ، سيما المتزوجة.

هذه (أم مصطفى ـ أم سعيد ـ أم محمد ...) لا تعرف بغير الكنية ، ولعل الناس لا يعرفون اسمها ، أو هذا الاسم الحقيقي ينسى أو يتناسى ، ويهمل إهمالا شديدا تاما وكاملا ، وتبقى الكنية وحدها هي السيدة والسائدة.

وإن كان ثم جرءة أو شجاعة على نطق اسم المرأة فلابد أن يسبق بـ (الست) خاصة في مصر ، أي السيدة ، أو السيدة ، أو الآنسة ... الخ ، وهذا مألوف معروف في شعب مصر ، وفي غيره من بلدان العرب تجد استخدام الكنية للمرأة ـ أو اللقب ـ خاصة الأم ، تجد هذا عندهم أكثر وأكثر مما هو موجود في مصرنا.

ونبدأ القصة والحكاية من كتب النحو ، فماذا فيها عن : (الكنية ـ اللقب ـ الاسم) ؟ فيها كثير كثير ، نقتبس منه ما يلي :

١ـ الاسم : يعين المسمى به مطلقا ، مثل : (محمد ـ علي ـ الحسن ـ الحسين ـ رضا ...) الخ.

٢ـ والكنية : ما صدر ـ وبدأ ـ بأب ، أو أم ... أو بعبارة أخرى : كل مركب إضافي صدره ، أو تصدر بأب أو أم ، أو ابن أو بنت أو أخ أو أخت أو عم أو عمة أو خال أو خالة ، ولكن الشائع الذائع الأب والأم والابن.

وهذي أمثلة من الكنى :

- أبو إسماعيل.
- أم يوسف.
- ابن جني.
- بنت الحسين ، ابنة مالك.
- أخو علي.
- أخت الحسين.
- عم جرير.
- عمة الفرزدق.
- خال السيد.
- خالة الآنسة.

أما اللقب فكل ما أشعر برفعة المسمى أو ضعته ، أي إلى نقص فيه ، فمن الأول :

- زين العابدين.
- السجّاد.
- الأشرف.
- المؤيد.

- المنصور.

ومن الثاني :

- الأعمش.
- الأعمى.
- الأعرج.
- الأقطع.
- الجاحظ.
- الحمار.
- أنف الناقة.
- الحطيئة.

المجتمع العربي كان يستخدم الألقاب ، ومن النوعين دون حرج أو تحرج ، خاصة ما أشعر بنقص أو ضعة ، هذا كان مجرد شيء يميز صاحبه ويفرقه عن غيره ، دون تعيير أو عيب أو محاولة إحراج ؛ فإن دستور العرب والعجم أمر بشكل صريح صراح ، لا مواربة فيه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ [(١)] الظَّالِمُونَ).

أمر من الله تعالى : (وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) قال الزمخشري في [(٢)] تفسيره :

---

(١) ١١ ، الحجرات.
(٢) الكشاف ٤ / ١٣ ، ١٤.

التنابز بالألقاب التداعي بها ، تفاعل ـ بفتح التاء وضم العين ـ من نبزه ، وبنو فلان يتنابزون ، ويتنازبون ، ويقال : النبز والنزب ـ نوع من القلب المكاني ـ وهو لقب السوء ، والتلقيب المنهي عنه ، وهو ما يشعر المدعو به بالكراهة والحرج لكونه تقصيرا به وذما له وشينا.

فأما ما يحبه الإنسان مما يزينه وينوه به ، فليس به بأس ، قال سيد الخلق : (من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب الأسماء إليه) ويضيف الزمخشري : ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب ، أي من سنة محمد (ﷺ) ، ولنا عود إلى هذا فيما بعد.

ونعود إلى التلقيب لنقبس من الزمخشري : ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق ، وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله ، وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم ، تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير ... انتهى ما قبسناه عن الزمخشري بتصرف وتداخل واضح.

وتأمل عزيزي القارئ كيف نهي القرآن عن التنابز بالألقاب ؟ قبل هذه الآية أو قبيلها بشكل مباشر : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [1]).

كأن القرآن يوكد أن من إخوة الإيمان ومن الإصلاح بينهم ما نهى عنه في الآية التي تلتها ، والتي نهت المؤمنين عن أن :

- يسخر قوم من قوم ، ولا يسخر أحد من أحد ، ولا نساء من نساء.

(١) ١٠ ، الحجرات.

- يعيب بعضنا بعضا (وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) وقرئ بضم الميم ، ليس بكسرها ، واللمز الطعن والعيب والضرب بالقول واللسان ، وقيل معناه : لا يعب بعضكم بعضا ؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة ، فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه.
- وأخيرا ، وبعد ما سبق جاءت ثالثة الأثافي ، وهي التنابز بالألقاب.

وكان ختم الآية قويا مناسبا لبشاعة ما سبق ، إذ قال رب العزة : (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

نعم ، بئس الاسم الفسوق من الدين بعد تمام الإيمان ، ومعنى الفسوق : العصيان والخروج عن حدود الشرع [1].

وقد شغل النحاة أنفسهم بإعراب هذي الأنواع الثلاثة (الاسم واللقب والكنية) خاصة إذا اجتمع اثنان منها ، أو أكثر ، ولم يتطرق أحد إلى أن هذا أحد ملامح التعبير الرقيق المهذب المفعم بالمشاعر الرقيقة الراقية ، كيف ؟ أنا أقول لك : وفي ذات الوقت اهتمام بالاسم ، خاصة اسمك : إن اسم الإنسان هو أحب الأسماء ، والمخاطب لا يغفر لمن ينسى اسمه أو فيه يخطئ ، ولذا فإن اهتمام نحو العربية بالاسم بشكل عام هو اهتمام بما يصلح بين الناس ويناسبهم من اهتمام كل امرئ باسمه.

هذا عن اسم الإنسان بشكل خاص ، ولكن لا نفيض في هذا ونسير سراعا سراعا إلى قراءة لبعض الأدبيات النحوية والكتابات لذي الجانب الذي نركز عليه

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية ٢/٨٥٤.

الضوء ، وهو جانب التعبير المهذب الرقيق ، وليس الجانب النحوي الإعرابي ، فنقول :

١- إذا اجتمع الاسم واللقب أخر اللقب ، وقدم الاسم ، يقول النحاة [1] : (لأنه - أي اللقب - يشبه النعت في إشعاره بالمدح والذم ، والنعت لا يقدم على المنعوت ، فكذلك ما أشبهه - أي اللقب - مثل : على زين العابدين - محمد تاج الدين ...).

وما أراه أن اسم الإنسان أهم شيء لديه ، وقبل أي شيء حتى اللقب ، وإن أشعر بمدح ومفخرة ، برغم هذا فإن اسم الإنسان هو المقدم ، المقدم على كل شيء.

حتى في تبرير النحاة (النعت والمنعوت) فإن المنعوت هو الأهم والمقدم على النعت ، هذا من الجانب النحوي ، وفي ذات الوقت ، وفي ذات الوقت الاهتمام والتركيز على اسم الإنسان ، أو الموصوف المنعوت.

٢- لا ترتيب بين الكنية وبين الاسم ، أو بين الكنية واللقب ، فمن تقديم الكنية على الاسم (أبو حسن علي) ويجوز ويصح ويكون (علي أبو حسن).

ومن اجتماع الكنية مع اللقب (أبو العباس السفاح - السفاح أبو العباس) حيث يجوز أن يتقدم أحدهما على الآخر.

ولعل السبب أن الكنية مرتبطة بالأب أو الأم الابن ... أو غيرها ، ولعل أسماء هؤلاء قد يكون أحب إلى المرء من اسمه هو ، فلعل الأم ترى اسم ابنها أهم بكثير وأحب إلى نفسها من اسمها هيه.

---

(١) أحمد صفوت : الكامل ٥٤١١.

وكذا بالنسبة للرجل ، ابنه أو اسم أبيه أحب إلى شغاف قلبه ونفسه من اسمه هو ، ومن هنا تتساوى الكنية مع اسم الشخص نفسه ، أو لقبه ، مهما كانتا حبيبتين إلى النفس.

٣- وبطبيعة لن نتحدث عن إعراب هذي الثلاثة (الاسم - الكنية - اللقب) إذا اجتمعت، أو اجتمع اثنان منهما ، وليرجع القارئ إلى كتب النحو للوقوف على إعراب ما سبق.

٤- الاسم ، اسم الإنسان أو العلم الشخصي ، يتميز بما يلي :

أ - بعض الأعلام هو محلي باللام ، مثل : (الحسن - الحسين) ويصح تجريده من الألف واللام (حسن - حسين) في حين نجد العلم المجرد من أداة التعريف لا يصح تحليته بهذي الأداة ، مثل (محمد - أسامة - علي) إذ لا يصح (المحمد - الأسامة - العلي) هو معرفة ، فلا يعرف بأداة التعريف.

وكذا لا يضاف ، فلا يقال (أسامة الغابة) أما في مثل (زيد الخير) فقد أصبح لقبا لهذا الرجل.

ب- وإذا كان العلم مؤنثا تأنيثا لفظيا أو معنويا ، مثل أسامة ومعاوية في التأنيث اللفظي ، وسعاد وزينب في المعنوي ، أو كان على وزن الفعل مثل (أحمد - أسعد) أو جاء بزيادة ألف ونون (عثمان - رمضان) فإنه يدخل في الممنوع من الصرف (التنوين) أي لا ينون فيجر بالفتحة لا بالكسرة.

جـ- ولا ينعت (يوصف) بالنكرة ، فلا يقال (هذا محمد مقبل).

د- ويبتدأ به بلا مسوغ ، أي يكون مبتدأ في جميع الأحوال.

هـ- ويأتي الحال منه بلا مسوغ ، أي يكون صاحب الحال دون مسوغ ، أو دون الحاجة إلى مسوغ ، كما في (جاء محمد مسرعا وعاد متأنيا).

و- وقد أشار النحاة إلى أن العلم (يشبه النكرة من جهة المعنى لأنه شائع في أمته وجماعته ، لا يختص به واحد ، دون آخر كالنكرة ، فكل من أسامة وأسد صالح لكل واحد من الأفراد ، بلا فرق ، فهو معرفة لفظا ، نكرة [1] معنى).

معنى هذا أن هذا العلم مثل (محمد - أحمد) هو معرفة ، أو المفترض أنه معرفة ، أي في الشكل واللفظ والتصنيف النحوي ، لكن فيه جانب تنكير في معناه.

انظر إلى هذا الجد - مثلا - يسأل صبيا عن أبيه (ابن من أنت ؟) يقول الصبي (ابن الدكتور أحمد) يعود الجد فيسأل (الدكتور أحمد !! ابن من ؟) ترد الزوجة التي تجلس إلى جوار زوجها (الدكتور أحمد ابنك يا رجل).

وهكذا نجد الأسماء تطلق على عديد من الناس ، انظر إلى الاسم المبجل الموقر دوما (محمد) لقد قرأت أن ٥٠ مليونا من البشر تسموا بهذا الاسم العزيز على كل القلوب ، وأتصور أن العدد فوق هذا بكثير ، إذ لا تخلو أسرة مسلمة في أية بقعة أو رجا من أرجاء الدنيا أو أركانها من الاسم (محمد).

وهكذا حاولنا الخروج من ضيق الإعراب ومتاهات النحاة إلى رحابة الفكر واتساعه ، محاولة في النظر والإمعان فيما وراء الإعراب ودهاليز النحو وجنباته ، في الترتيب بين الاسم واللقب والكنية ، وكيف يكون الإعراب في كل ما سبق وما مبرراته وأسبابه .. فلله الحمد والمنة.

---

(١) السابق ٥٦/١ وقبلها.

المادة الستون
{٦٠}

حركة المعنى في العربية واسعة مرنة ومتسعة ، تبدأ الحركة من المعاني العامة إلى تخصيص المعنى أو ضيقه أو انتقاله إلى المعنى المضاد والاتجاه المعاكس.

كيف بالله عليك ؟ أنا أقول لك : إن التغير الدلالي في اللغة - أية لغة - بما في ذلك العربية يأخذ أشكالا ستة :

- تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى.
- تعميم الدلالة أو توسيع المعنى.
- انتقال الدلالة.
- رقي الدلالة.
- انحطاط الدلالة.

ففي تعميم الدلالة وتضييق المعنى أمثلة لا تحصى ولا تنعد ، مثل (الفقه) بشكل عام هو الفهم ، ولكنه تخصص وضاقت دلالته إلى فقه الأحكام الشرقية وفهمها.

ومن أمثلة توسيع المعنى ، وهو عكس ما سبق ، كما في كلمة (فرعون) ومعناه في اللغة المصرية القديمة (التمساح) علم على واحد - فقط فقط - من ملوك

مصر القديمة الذي أغرقه الله منجيا منه نبي الله موسى (ﷺ) ثم أطلق على كل متجبر طاغية ظلوم غشوم غشمشم ، قال سيد الخلق (ﷺ) مشيرا إلى عمرو بن هشام (لكل أمة فرعون ، وهذا الرجل فرعون هذه الأمة) وقد كنّاه سيد الخلق بأبي جهل محذرا من تلقيبه بأبي الحكم بأن هذا ذنب ، أو معصية ، يجب أن يستغفر منه.

وفي انتقال المعنى كلمة (البيت) تطلق على السكن ، ثم انتقل المعنى إلى بيت الشعر ـ بكسر الشين وسكون العين ـ على سبيل الاستعارة ، حيث إن بيت الشعر يضم أجزاء التفاعيل ، والتفاعيل نفسها بعضها إلى بعض على نوع خاص من الترتيب ، كما تضم أجزاء البيت في عمارته وبنائه على نوع من البناء والترتيب.

وفي رقي المعنى كلمة (العفش) كانت تطلق على التافه من الأشياء ، أو على سقط المتاع ، أو بقايا حطب وما يوقد به الناس النار ... الخ الآن هذي الكليمة تطلق على جهاز العروسين.

ومنه أيضا كلمة طيار التي كانت تطلق على الفرس السريع الجري الخفيف ، ثم ارتقى المعنى إلى قائد الطيارة ، ولكن يعود لينزل مرة أخرى من طيار يطير بطائرته في عنان السماوات إلى قائد الدراجة النارية التي يوصل الطلبات إلى المنزل سريعا خفيفا كأنما هو طيار ينطلق بطيارته.

وفي التحول إلى المعنى المضاد كلمات مثل (قصير ـ طويل ـ أسود ـ أبيض ...) الخ ، تطلق على عكس معناها قصد المبالغة أو السخرية ، كما كان لنا جار كنا عليه (فلان الأبيض) لشدة سواد بشرته ، وكما نقول عن إنسان قصير جدا بأنه طويل أو العكس بأنه طويل ، قاصدين عامدين ناوين المعنى المعاكس المضاد.

ومن أسباب التحول إلى المعنى المعاكس التفاؤل والتشاؤم ما يجعل المرء يميل عن بعض الألفاظ إلى غيرها ، وهي تحمل عكس معناها فقديما أطلق العرب على الصحراء المهلكة (مفازة) تفاؤلا وتجنبا لكلمة (مهلكة).

كما أطلقوا على معوج الرِّجل (أحنف) وأصل معناه (المستقيم) لأنهم تطيروا من الإعوجاج إلى الاستقامة ، كما يقال للأعمى أبوبصير وللأسود أبوالبيضاء ، كما أطلقوا على الإفلاس أبوعمرة ، وعلى الجوع أبومالك.

انتهى ما قبسناه عن الباحث المتميز المرموق الدكتور فريد عوض من كتابه (علم [1] الدلالة ...).

ومن واجب أن نشير إلى أن كلمة (أبو) لا تنفصل عما يأتي بعدها ، كما رأيت (أبومالك) دون فاصل بين الكلمتين ، وليس (أبو مالك) فوجبت الإشارة.

ومن هذا الكتاب الذي هو كالدر الثمين منه ننفلت سراعا سريعا حادرين مسرعين إلى سفر آخر من أسفار العربية المرموق (المزهر ...) للعلامة السيوطي ، كيف ؟.

هذا النوع التاسع والعشرون من مزهر السيوطي ؟ لقد جاء تحت عنوان (معرفة العلم والخاص) فيه خمسة فصول : الفصل الأول : العام الباقي على عمومه ، وهو ما وضع عاما واستعمل عاما ، وقدم السيوطي ما عدته من الأمثلة ٢٦ مثالا ، منها :

- كل ريح لا تحرك شجرا ، ولا تعفي أثرا فهي نسيم.
- كل بستان عليه حائط (سور) فهو حديقة.
- كل شيء دب على الأرض فهو دابة.

(١) راجع : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٧٩٦/٢.

الفصل الثاني : في العام المخصوص ، وهو ما وضع في الأصل عاما ، ثم خص في الاستعمال ببعض أفراده ، مثل (الحج) والتجرد له ، ثم خص بقصد البيت (الكعبة المشرفة) وهو الركن الخامس في أركان الإسلام ، أحد الأركان كي يكون المرء مسلما.

ومثل (السبت) هو الدهر ، أو (الزمن) ثم خص في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع ، وهو فرد من أفراد الدهر ، أو جزء محدد معروف من أجزاء الزمن.

وهو ما سبق تماما ، تخصيص للدلالة ، وتضييق للمعنى ، نفس ما يقول المحدثون ، وأمثلة على نفس النسق والنظام.

الفصل الثالث : فيما وضع في الأصل خاصا ثم استعمل عاما ، وهذي بعض أمثلته :

- الوغى : اختلاط الأصوات في الحرب ، ثم كثر فصارت الحرب نفسها أو كلها (وغى) وكذا كلمة (الواغية).
- الدفن : للميت ، ثم دفن السر إذا كتمه ، أو أي شيء يخبأ في الأرض ، يدخل في باب دفن.
- العمى : أصله في العين ، ثم قالوا : عميت عنا الأخبار إذا سترت ، ولم نرها ، وفي التنزيل :

- (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) [1] ومعنى (أعمى أبصارهم) وأبعدها عن طريق الهدى.
- (...وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) [2] ، ومعنى (عميت ...) أخفيت ، والتبست [3].

---

(١) ٢٣ ، محمد.
(٢) ٢٨ ، هود.
(٣) راجع : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٧٩٦/٢.

نعود سراعا خفافا حدرا إلى السيوطي مرة أخرى ، بعد انعطافة إلى أمثلة من القرآن الكريم قدمنا في ثنايا الاقتباس عن مزهر السيوطي ، فنسطر :

بالفصل الرابع : فيما وضع عاما ، واستعمل خاصا ، ثم أفرد لبعض أفراده اسم يخصه.

- (البغض) عام ، و (الفرك) - بكسر الفاء ، وسكون الراء - فيما بين الزوجين خاصة.
- (التشهي) عام ، و (الوحم) للحبلى خاصة.
- (الغسل) للبدن عامة و (الوضوء) مختص بغسل الوجه واليدين خاصة ، إذ باقي أعضاء الوضوء ممسوح عليها كالرأس والقدمين.

الفصل الخامس : فيما وضع خاصا لمعنى خاص ، إذ للعرب كلام بألفاظ ، تختص به معان ، لا يجوز نقلها إلى غيرها ، تكون في الشر وغيره ، وفي الليل والنهار وغير ذلك.

- ظل فلان يفعل كذا ، إذا فعله نهارا ، وبات يفعل كذا ، إذا فعله نهارا.
- التأبين : لا يكون إلا عند مدح الرجل ميتا.
- النعت : وصف الشيء بما فيه من حسن ، ولا يقال في السوء.

انتهينا ما قبسناه عن المزهر [1] لنقول معقبين :

إن السيوطي أفاض إفاضة محققة مجودة متأنية غير حادرة في ضيق المعنى واتساعه ، ما وكد الحركة الواسعة للمعنى في العربية من الضيق إلى السعة ، أو من العموم إلى التخصيص ، ولكن أين باقي صورة التغير في المعنى ؟

---

(١) راجع ٤٢٦/١ وبعدها.

إن تحول المعنى إلى الاتجاه المعاكس (الضد) قد درسه العرب دراسة وافية ، وذاك لكثرة ما وجدوه من أمثلة لهذا التحول في المعنى.

يقول الدكتور فريد [1] عوض : وهذه الظاهرة - ظاهرة دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين - ظاهرة موجودة في كل اللغات ، إلا أنها لم تحظ باهتمام المحدثين من اللغويين الأوربيين بقدر ما حظيت باهتمام اللغويين العرب القدماء حتى أفرد بعض العلماء مؤلفات مستقلة لهذي الظاهرة ، مثل :

- الأصمعي ت ٢١٦ هـ.
- ابن الأنباري ت ٣٢٨هـ.
- الصاغاني ت ٦٥٠هـ.

بل إن بعض الكتب في هذا الموضوع ، لم تصلنا ، فقط أشير إليها ، مثل :

- كتاب الأضداد للتوزي ت ٢٣٠هـ.
- كتاب لابن فارس - ت ٣٧٧هـ - في الأضداد أشار إليه في كتابه الصاحبي.

وبطبيعة الحال ومنطق الأحوال أن الكلمة كان لها معنى ، ثم تحول ذياك المعنى إلى معنى آخر لأسباب ذكر شيئا منها آنفا ، فكلمات مثل (قرء) كانت تعني - مثلا مثلا - الحيض ، ثم تحول المعنى إلى الطهر ، وبقي المعنى الأول كما هو ، وكذا كليمة (سليم) بمعنى اللديغ أو المريض كانت في الأول بمعنى السلامة والعافية ، ثم تحول المعنى إلى (اللديغ) كما نقول في المصرية الحديثة (فلان بعافية) إذا كان مريضا ، لقد تحول المعنى إلى معنى معاكس لأسباب كما سلف ، وفي ذات الوقت نرى أن المعنى المضاد ، أو التحول إلى المعنى المعاكس أقل من استخدام المعنى الأول ، ففي مثل (السليم) كانت للمعافى ثم استخدمت بشكل محدود بمعنى (اللديغ).

---

(١) علم الدلالة ... ص ١٤٥.

فكيف يفرق بين المعنيين المتعاكسين ؟ السياق كفيل بالتفرقة والتمييز بين المعنيين مهما تضادا وتعاكسا ، وكانا على بون شاسع واضح [1].

ونترك التضاد والمعاني المتضادة المتعاكسة إلى انتقال المعنى ، بعيدا عن الضيق والاتساع ، أو الرقي والانحطاط لنسّاءل : هل في كلام علماء العربية القدماء شيئا من إشارة أو تفصيل عن انتقال المعنى ؟

نستأذن القارئ الكريم بقراءة هذا النص الذي وجدناه في كتاب الثعالبي : (فقه اللغة) فماذا يقول أبو منصور ؟ يقول :

فصل في إقامة العم مقام الأب والخالة مكان الأم : يقول الله (ﷻ) حكاية عن بني يعقوب : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ : مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ؟ قَالُواْ : نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ [2]) ، وإسماعيل عم يعقوب ، فجعله أبا ، وقال في قصة يوسف : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ [3]) يعني أباه وخالته ، وكانت أمه قد ماتت ، فجعل الخالة والدة [4]).

وفي الحديث الشريف : (الخالة بمنزلة الأم) ثابت في الصحيحين وغيرهما عن البراء [5] (ﷺ) وفي المثل المصري : (الخال والد) أي كالوالد ، أو بمنزلة الوالد.

وعندما نعود إلى العم والأب - والعود دوما أحمد وأدوم - نجد ابن كثير في التفسير يشير إلى : (أن العرب تسمى العم أبا - نقله القرطبي - وقد استدل بهذه من

(١) السابق.
(٢) ١٣٣ البقرة.
(٣) ١٠٠ يوسف.
(٤) ص ٢٥٧.
(٥) العجلوني ، ص ٣٧٣ ، وانظر أيضا : ابن حمزة الحسيني : (البيان والتعريف ...) ٢ / ١٩٢.

جعل الجد أبا ، وحجب به الإخوة [1])

وفي الكتاب العزيز الكريم : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ [2] آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً!!) كل المصادر والمراجع تصرح باسم أبي إبراهيم (ﷺ) وهو (تارح) فمن آزر هذا ؟ الروايات تذكر أنه عم نبي الله إبراهيم ، ليس أباه ، وهذا توجيه جيد ، وكلام مقبول مقبول.

لقد انتقلت دلالة لفظة (أب) من الأبوة والعمومة ، كما في اللهجة المصرية حين يقول الناس (أبويا سعد ... أبويا محمد ... أبويا حسين) أو (أبويا الحاج) قاصدين العم ، وليس الأب [3].

ومن ثم ومن خلال ذياك الحوار القصير حول الأب والعم ، والأم والخالة أن علماء العربية القدماء استطردوا وتطرقوا إلى انتقال الدلالة ، وبقى إذن الاتجاه إلى رقي الدلالة أو الاتجاه المعاكس المخالف ، فأين نجد معالجة العلماء القدماء من بني يعرب للاتجاهين السابقين.

وفيما يتصل برقي الدلالة وانحطاطها حاولت أن أجد نصا عند علماء العربية القدماء يشير من بعيد أو من قريب إلى ذياك التغير في الدلالة فلم أجد.

رجعت إلى ما توفر لدي من المراجع والمصادر ، وكذا نظرة في الشبكة الدولية فلم أسطع أن أهتدي إلى عبارة أو إشارة ، ولعلنا في المستقبل نجد شيا - شيئا - أو لعل غيرنا يسطيع يجد مما سبق ضالتنا المنشودة.

---

(١) ١/٢٦١.
(٢) الأنعام.
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١/١ ، ٢.

آن الأوان أن نصل إلى القافية والعروض ، وليس العروض والقافية ، البدء فيما قرأنا ورجعنا من مراجع دوما يبدأ بالعروض وينتهي بالقافية ، ما ولد إحساسا بأن الأولى أهم من الثانية ، ومن ثم فقد رتبنا العنوان مقدمين القافية على العروض درء الوهم أنه الأقل أهمية من العروض.

ومن ناحية أخرى فإن الصعوبة في فهم قضايا القافية وقبلها عروض الشعر تبدو بادهة الصعوبة أمام طلابنا ، ومن ثم فالموضوعان بحاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات والبحوث لتقديم القافية والعروض إلى المتعلمين من عرب وعجم ، يتوقون ويرنون إلى تعلم لغتنا.

والعجب العجاب أننا في لجان الترقية في الجامعات المصرية نجد كل من تخصص في الصرف والنحو يدعي أنها متخصص أيضا في العروض مصرا على أنه يجب على اللجنة أن تأخذ بتعريفه بتخصصه ، وهو :

الصرف والنحو والعروض

في حين هو لم يتكرم علينا بسطر واحد أو سطير عن القافية والعروض وهو ما جعل مسائلهما شاقة شائكة - لا شائقة - على أبنائنا وعلى بناتنا.

وقد حاولت إقناع بعض الزملاء سيما من يزمع التقدم للترقية في الثلاثي (الصرف والنحو والعروض) أن يكتب - ولو - بحثا واحدا في العروض ، مثل :

- دراسة صرفية أو معجمية أو دلالية لمصطلحات القافية ، أو العروض.
- دراسة صرفية أو نحوية للقافية.

وقد لمست هذي الصعوبات البالغة عند تدريسي للقافية والعروض لطلابي في كلية التربية ، وفي كلية التربية النوعية ، حيث حاولت جاهدا أن أبسط المسائل ـ كما هي عادتي مع الطلاب سيما في هذه المادة ـ قدر الوسع والطاقة.

وعندما كان يدرس أبنائي في الأزهر حاولت وسعي تبسيط وتيسير المسائل ، خاصة وأن اللغة المستخدمة هي في كثير من الأحيان غير مناسبة هي صعبة صعبة عسيرة الفهم.

وأنا أعطي مثالا هنا على مسألة وقفت أمامها ابنتي حائرة متحيرة ، وعندها لجأت إلى أبيها. لقد قرأتْ في كتابها المقرر :

الحذذ : وهو حذف الوتد المجموع في (مستفعلن) لتصبح (فعْلن) أي : /٥/٥، وكذا (متفاعلن) وتكون العروض (حذاء) والضرب مثلها.

من صور الكامل : العروض صحيحة والضرب أحذ حيث تصبح ///٥//٥ ← /٥/٥ ، أي فعلن.

وهنا وجدت البُنية نفسها أمام صيغتين للحذذ وهما (أحذ ، حذاء) أفعل فعلاء ، وحقيقة أن صيغة (أحذ) هي أفعل للمذكر ، و(حذاء) هي الصيغة المؤنثة فقط ، الصيغتان هما وصف للحذذ ، مرة بصيغة المفرد المذكر ، والأخرى للمفردة المؤنثة.

وهكذا نرى القافية والعروض بحاجة ماسة ماسة إلى التبسيط والتيسير ، ربما أكثر من الصرف والنحو ، وهذان الآخران يحتاجان حاجة المريض إلى الدواء والشفاء ، هما بحاجة ماسة إلى التبسيط والتيسير ، وهكذا ، وهكذا.

المادة الواحدة والستون

{٦١}

الشعر ديوان العرب ، ومن ناحية أخرى فالعربية لغة شاعرة ، نثرها أقرب إلى الشعر ، أهلها لهذا أنها بقيت قرونا طويلات لغة شفاهة وحفظ ورواية.

الشعر ديوان العرب ، فيه ذكرهم وتاريخهم وتصوير دقيق لحياتهم ، ولعل هذي الحقيقة ما وكدها القاصي والداني ، والباده والحاذق.

ومن هنا نترك ونغادر تفصيل تيك الحقيقة إلى شاعرية العربية ، في جمال وقعها في الأسماع وإحكام عروضها الذي يختتم البيت في وزنه وعروضه بمسك القوافي بدقة نسجها وبديع صوغها.

أما من وصفها بجمال وقعها في الأسماع فهو العلامة العقاد [١] ، آلعقاد وحده ـ سيدي ـ مَن قال هذا ؟ كلا ، آخرون قالوا ذياك الكلام ؟ أمسلمون همو ؟ عرب همو ؟ كلا ، يهود وأمريكان وأوربيون همو ، من همو ، يرحمك الله ؟ .

(١) اللغة الشاعرة ، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية ، ص٥.

أعطيك شهادتين :

١- المستشرق الأمريكي (اليهودي) هيوم حوراني : إذ يقول : المشكلة أن العربية من أجمل ما تسمعه الأذن من [1] إيقاع).

٢- المستشرق الهولندي يوها مولمان : (إن كثيرا من الأندونيسيين يجلون اللغة العربية ، ليس لأنهم يعتبرونها قاطرة القيم والمعرفة الدينية فقط ، ولكن أيضا بسبب الجمال المتأصل في اللغة العربية [2]).

صفوة القول أن العربية فيها من مزايا الشعر فضلا عن القافية والعروض (أنها لغة مقبولة في السمع ، يستريح إليها السامع ، كما يستريح إلى النظم المرتل والكلم الموزون) هذا نص العقاد ، في كتابه القيم اللغة الشاعرة [3].

ويضيف العقاد ميزة أخرى إلى العربية ، وهو (أنها لغة يتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نحو لا يعهد له نظير في سائر اللغات) بل هي في رأينا أميل إلى المجاز منها إلى الحقيقة.

فما الذي أهل العربية لأن تكون لغة شاعرة ، أي نثرها أقرب إلى الشعر ؟ أنا أقول لك :

١- بعدما قيل واقتبس ـ وقبله أيضا ، هو الاختصار والتركيز ، وهو ما يميز العربية بشكل واضح ، ولذا قيل (البلاغة ـ الإيجاز [4]).

وقدوتنا في هذا سيد الخلق (ﷺ) الذي قال : (أوتيت جوامع الكلم ، واختصر

---

(١) روبرت كابلان : الحملة الأمريكية ... ترجمة محمد الخولي ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص٤٤١.
(٢) اللغة العربية في أندونيسيا ، ترجمة د. أحمد أبو الخير ـ د. أحمد فريد ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص٦٦.
(٣) ص٥.
(٤) المراغي : علوم البلاغة ، ص١٦٦.

لي الكلام اختصارا) ومعنى جوامع الكلم أي معاني كثيرة وكليمات قليلة ، هذا معنى جوامع الكلم ، ويقول المصطفى أيضا :

إن من البيان سحرا ، ومن الشعر حكمة.

ولا يكون البيان سحرا ، ولا يكون الشعر حكمة ، لا يكونان كما وصفنا إلا إذا كان الكلام موجزا مختصرا مركزا.

أذكر أنه منذ ٤ سنوات قرروا - في مصر - تكريم الشاعر فاروق شوشة لبلوغه - أمد الله في عمره - سن السبعين ، لبيت الدعوة مشاركا مستمعا فقط ، لكن أحد أصدقائي من الناشرين اعترض بقوة مقترحا أن أكتب شيئا في ندوة التكريم ، ثم اختار لي شيا - شيئا - من كتب الشاعر فاروق شوشة ، فكان كتاب التداوي بالشعر ، حتى اقتنعت أن أكتب في هذا الموضوع ، ولم لا ؟.

ومن الطرافة أن الاختيار كان طريفا من جميع النواحي ، إذ ركز كل المؤتمرين على شعر فاروق شوشة ، وكنت الوحيد الذي كتب عن نثر هذا الشاعر.

ومن عجب أن أبرز ما وجدت في الكتاب هو الإيجاز والتركيز والاختصار ، في كل جملة كنت أقرأ شعر الشاعر الفاروق أجده غير مفترق كثيرا في هذا الكتاب عن دواوين الرجل وأبياته.

ولذا اقترحت على شباب الباحثين في الماجستير والدكتوراه دراسة لغة الشعراء في نثرهم ، ثم مقارنة هذي اللغة بقريض الشاعر في لغته ، حيث نحاول المقارنة بين اللغتين ، أو بين لغتي الشعر والنثر.

لقد قامت دراسات عديدة ، لا حصر لها - سيما في أطروحات الدكتوراه والماجستير ، على لغة الشعراء في شعرهم ، لكننا نفتقد دراسات في مجال نثر الشعراء ، أو ما ينثر الشعراء في كتاباتهم.

٢- ومن العناصر المهمة التي جعلت من العربية لغة شاعرة ، وهو أحد العناصر الرئيسة في الشعر هو حرية الحركة داخل الجملة كي تستجيب لضوابط القافية والوزن ، وهذه ميزة قلما تجدها في أية لغة أخرى.

وأنا هنا أعطى للقارئ بعيض أمثلة ليس إلا ، حيث تتضح حرية الحركة داخل الجملة العربية ، بوسيلتين ، هما :

- المرونة الشديدة في التقديم والتأخير.
- حذف ما هو مفهوم قولا واحدا ، لاشية فيه.

هذا مثال لحرية التأخير والتقديم ، هو تقدم خبر كان - وأخواتها - على اسمها ، أو اسمهن ، مثل : (وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [1]) ونحو : كان في الدار صاحبها ، بل قد يتقدم خبر كان على الفعل نفسه ، مثل : (وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ [2]).

وقد يصل الأمر إلى توسط الخبر بين أداة النفي وما تنفيه (ما خاطئا كان عليّ - ما مصيبا زال عليّ) أي : ما كان علي خاطئا - ما زال علي مصيبا.

أما حذف ما هو مفهوم قولا واحدا والتوسع في الحذف ما يوكد على مقولة أن الأصل في العربية هو الحذف ، ليس الاستثناء أو الرخصة ، وقد أفضنا في الحديث عن الحذوفات في العربية في المادة التاسعة والثلاثين من دستور العربية.

---

(١) ٤٧ الروم.
(٢) ١٧٧ الأعراف.

وهنا نذكر القارئ بمثال واحد نقبسه من بعض كتب البلاغة ، حيث جاء فيه :

ويحذف المفعول لدافع من الدوافع الآتية :

١- رعاية الفاصلة - أي في القرآن الكريم : (وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) أي : ما قلاك - يا محمد - وما أبغضك ، ويرى صاحب الكشاف أن حذف المفعول في مثل هذا الاختصار اللفظي للعلم به.

وهذا يعني - كما قلنا سلفا - أن كل ما فهم وعلم يحذف ويحذف ، حتى قلنا الحذف هو الأصل ، إذا فهم ، وإذا لم يفهم ويعلم يذكر.

ومن ناحية أخرى نعيد التنويه على أن الفاصلة لها دور كبير في نظمها ونظامها ونحوها وتركيبها.

٢- استهجان ذكر المفعول كقول عائشة (رضي الله عنها) : (ما رأيت منه ، ولا رأى مني) تعني العورة.

٣- مجرد الاختصار (أصغيت إليه وأغضيت عنه) أي : أصغيت أذني ، وأغضيت عنه بصري.

٤- تعينه فهما [1] : (لِّيُنذِرَ بَأْساً [2] شَدِيداً) أي : لينذر الذين كفروا ...

ومن خلال ما سبق يتضح لنا بوضوح شديد الوضوح أن أخص خصائص لغة الشعر هو الاختصار الشديد والتركيز وحرية الحركة داخل الجملة ، وهو ما انتقل إلى نثر العربية ، وهو ما اتضح أيضا في لغة الشعراء حين ينثرون ، أو في نثر الشعراء.

---

(١) لمزيد من مبررات حذف المفعول راجع : علوم البلاغي للمراغي ، ص٨٩ وقبلها.
(٢) ٢ ، الكهف.

تلكما الخصيصتان تنضمان إلى القافية والوزن ، وهما في شعر العربية أوضح ، بل أشد وضوحا مما نراه في شعر اللغات الأخرى غير العربية.

وكلّ أثر كثيرا في نثر العربية ما جعله أقرب إلى شعر الشعراء من نثر الناثرين ، وقد عمق هذا التأثير أن العربية بقيت قرونا طوالا لغة شفاهة ومشافهة حتى بدء القرن السابع الميلادي ، حين أهل النور المحمدي ، حيث بدأت الحضارة العربية من غار حراء ، بدأت هذي الحضارة العظيمة من (اقرأ...) إلى الآن.

وقد ناقشت هذي الفكرة المادة الثامنة من دستور العربية ، فليرجع إليه القارئ إن رام تفصيلا.

هذا فضلا عما سقناه سلفا من مظاهر شاعرية العربية ، وانحيازها إلى لغة الشعر ، وهي :

١- الشعر ديوان العرب ، فيه ذكرهم وتاريخهم ، وكل شيء يخصهم أو يمت إليهم.
٢- ومن ثم ، ومن هنا ، وبسبب كون العربية لغة شاعرة كانت العربية من أجمل ما تسمعه الأذن من إيقاع ، بل كما قال يوهان مولمان : الجمال المتأصل في العربية.
٣- العربية وإن مالت إلى المجاز عن الحقيقة ، ليس هذا فقط ، بل تتعانق في العربية الحقيقة والمجاز كلتاهما ، أو كلاهما.

والآن إلى المادة التالية من دستور العربية.

الفصل السادس
القافية والعروض

المادة الثانية والستون
{٦٢}

البيت هو وحدة الجملة في الشعر العربي ، فإن تجاوزت الجملة البيت الواحد عد هذا عيبا هو التضمين ، إذ كل بيت يشكل جملة مفيدة كاملة.

يجب الإشارة ببليغ عبارة وفصيحها أن المعول عندنا والمتكأ هو عروض الخليل بن أحمد والقصيدة العربية القديمة ، وما لف لفها ونحا نحوها - غاضين النظر عن الأشكال المخالفة للقصيدة التقليدية ، فتيك الأشكال نترك درسها وفحصها - ومحصها - لدراسات النقد الأدبي.

وهذا مثال من ذياك الشعر به يتضح المقال ويظهر ، قال دعبل بن علي الخزاعي ١٤٨ - ٢٤٦هـ في أدب [1] الطف :

تجاوبن بالإرنان والزفرات
نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس
أسارى هوى ماض وآخرآت

(١) أدب الطف هو ما قيل وقرض شعرا أو نثرا في مقتل الحسين ومن معه في واقعة الطف ، نسبة إلى طف الفرات حيث وقعت واقعة كربلاء المشئومة على شط الفرات ، وبشكل عام كل ما قيل في هذي الواقعة وفي مصائب آل البيت ومناقبهم ومآثرهم.

فأسعدن أو أسقفن حتى تقوضت

صفوف الدجى بالفجر منهزمات

على العرصات الخاليات من المهى

سلام شج صب على العرصات [1]

قصيدة لا أرى مثيلا لها ، لا في شعر العرب ، ولا في نظم العجم (١١٩) بيتا ، كلها كلها ، في كل واحد منها جملة كاملة ، لا تمتد إلى البيت الذي يتلوه ويأتي بعده.

فإذا كان للبيت بقية جملة في البيت الذي يليه عد هذا عيبا اسمه التضمين ، كيف ؟ وما هو هذا التضمين يرحمك الله ؟.

يجيبك العروضيون : التضمين تعليق قافية البيت بما بعده ، فإذا ربط البيتان بغير كلمة الروى فليس بتضمين لدى المبرد ، لقد جاءت دلالة التضمين من حيث إن الشاعر ضمن الثاني معنى البيت الأول.

عظيم أيها الشيخ ، إيه وإيه ، هل من مزيد وتفصيل ، يجيب الشيخ [2] : التضمين نوعان ، جائز وقبيح ، فالقبيح ما لا يتم إلا به الكلام ، مثل ماذا يا شيخ ؟ مثل :

- جواب الشرط حين يفصل عن فعل الشرط.
- وكجواب القسم.
- والخبر يفصل عن مبتدئه.
- وصلة الموصول.

(١) أدب الطف أو شعراء الحسين لجواد شُبّر ، ص٢٩٥.

(٢) أحمد الشيخ : دراسات في علم العروض والقافية ، ص٢٥٢.

أما الجائز فما تم بدونه الكلام ، مثل :

- النعوت حين تفصل عن المنعوت.
- والفضلات : الحال ، التمييز ، المفاعيل ...

فمثال التضمين القبيح قول النابغة الذبياني :

وهم وردوا الجفار على تميم

وهم أصحاب عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صادقات

شهدت لهم بحسن الظن مني

ومثله من التضمين المعيب قول بشر بن أبي حازم :

فسعدا فسائلهم والرباب

وسائل هوازن عنا إذا ما

لقيناهم ، كيف نعليهُم

بواتر يفرين بَيْضا وهاما

أنا بباب القصر في بعض ما

أطلب من قصرهم إذا رمى

شبه غزال بسهام فما

أخطأ سهماه ، ولكنما

عيناه سهمان له ، كلما

أراد قتلي بهما سلما

ومثله قول كعب بن زهير :

ديار التي بتت حبلى وصرمت

وكنت إذا ما الحبل من خلة صُرِمْ

فزعت إلى وجناءَ حرفٍ كأنما

بأقرابها قارٌ إذا جلدها استحم

ومثله قول الآخر :

الله أعطاك التي لا فوقها

وقد أراد الملحدون عَوْقها

عنك ، ويأبى الله إلا سوقها

إليك حتى قلدوك طوقها

وقبل أن نستمر مع الشيخ المشيخة المشيخاء نتوقف هنيهة ـ ليس برهة [1] ـ أمام نقطتين اثنتين ثنتين ، هما.

- إن التضمين الذي هو عيب هو ارتباط كلمة الروي ـ لاحظ كلمة الروي ـ بما بعدها ، أي بالبيت الذي يتلوها.
- مناقشة بعض الأمثلة التي أوردها العروضيون للتضمين المعيب.

أولا ـ لماذا كلمة الروي بالذات أو بشكل خاص ، معنى هذا أن البيت يمكن أن يرتبط بما بعده ، أو بمعنى آخر جملة البيت يجوز أن تمتد إلى البيت الذي بعده ، لكن لا يظهر في جملة الروي ، كيف ؟ نحن بحاجة إلى مثال ، أي مثال لما سمي بالتعليق المعنوي ، مرة أخرى مع دعبل بن علي الخزاعي في تائيته الخالدة :

(١) إذ البرهة الزمان الطويل ، في لسان العرب : (زرتك برهة) أي : زرتك عاما ، بعد عنا الشر والزور ، وعافاك الله وعافانا ممن يزورك عاما أو حتى هنيهة.

أفاطم : لو خلت الحسين مجدلا

وقد مات عطشانا بشط فرات

إذن للطمت الخد فاطم عنده

وأجريت دمع العين بالحسرات

هنا تجد البيت الأول جملة تمتد إلى البيت الثاني ، في البيت الأول نصف الجملة ، أداة الشرط (لو) ثم فعل الشرط ، أو جملة الشرط (خلت الحسين ...) في حين تبقى النصف الثاني ، وهو جواب الشرط ، أو جملة جواب الشرط (إذن للطمت الخد فاطم...).

أي أن التعليق المعنوي ، أو ارتباط البيتين ، أو امتداد الجملة من البيت الأول إلى الثاني ، هو أمر مباح.

مثال آخر قبسته من (اختيار الممتع في علم الشعر وعمله) للنهشلي [1] ، فهذا الأصمعي ينشد لشومسة الفقعسي يصف صيده للذئب :

١ـ لم ينج [2] بعد نجائه من ساعة	أن قام قومة ناقض مُترقب
٢ـ فظللت بمربأ في شخصه	في كل حال أمَّها أم مذهب
٣ـ متعابيا طورا لدى استشرافه	فإذا توهد في مجال أرتب
٤ـ حتى دنوت ، وقام مني شخصه	بمقام دان للرماية مكثب
٥ـ فنحوته سهمي فأنفذ متنه	شكا وأي فريسة لم أنشب
٦ـ ثم انصرفت إلى بنيتي مالنا	كفيَ مغتبطا بعيش مُخصب

(١) أبو محمد ، عبد الكريم بن إبراهيم (ت ٤٠٥ هـ) راجع ٢/٥٥٥.
(٢) أي الذئب.

في البيت الأول بدأت الجملة (لم ينج ...) أي الذئب ، في التالي بدأ بحرف الفاء الذي ربط هذا البيت بما سبقه ، وفي البيت الثالث بدأ بخبر (ظل) في : (ظللت...) في البيت الذي سبقه.

وهكذا وجدنا الفعل (ظل) واسمه (تاء الفاعل) ... الخ ، ثم الخبر في البيت التالي ، والذي بدئ به ، وهو (متعابيا).

وفي البيت الخامس بدأ بحرف الفاء ، وفي السادس بحرف (حتى) هذان الحرفان اللذان وصلا البيتين بما سبقهما ، كما هو الواضح البادي الباده.

تيك صورة أخرى من التعليق المعنوي ، ترى فيه أن الجملة يمكن أن تمتد معنويا ، أو تعلق البيت من المعنى والجملة بما قبلها.

إذن ما الفرق هنا بين هذا التعليق المعنوي وبين التضمين السابق أمثلته ، فلم عُدّ هذا الأخير عيبا ، والأول ليس عيبا ، بل هو مسموح به ؟.

الرأي أن كلمة الروي و (القافية) عندما ترتبط جملتها بما بعدها نجد أن الفصل هنا واضح وحاد ، باد ظاهر للعيان ، بل حتى للعميان ، ومن هنا فالفصل هنا حاد حدة السكين المشحوذ ، تقطع البيتين كما تقطع الزبدة أو الجبن (الطري).

هذا شيء ، والشيء الآخر أن التعليق المعنوي يمكن أن يأتي على سبيل الاستئناف ، ففي القطعة الأخيرة عن الذئب يمكن أن تنشد الأبيات على سبيل الاستئناف ، استئناف في بداية البيت بواسطة الفاء أو حتى ، وفي (متعابيا) التي تبدأ البيت الثالث ، كيف ؟ على سبيل أو على تصور أن (... متعابيا) خبر ظل ، والفعل واسمه محذوف !!

هل هذا ممكن ؟ نعم ، ولم لا ، وخاصة أن الفعل (ظل) واسمه (تاء الفاعل) غير بعيد عن الخبر ، هما في البيت السابق ، قبيل الخبر مباشرة ، تقدير الكلام (متعابيا ... ظللت ...).

ومن ناحية أخرى فلعل الشاعر في التضمين اضطر إلى هذا بسبب الروي والقافية ، أو روى القافية ، أو لعله أراد التضمين إرادة ليوكد على هذي الكليمة التي أغلق بها البيت ، ختمه وأنهاه.

تماما كما نجد المفصل في الكلمة أو الجملة ، ومنه ما يسمى في القراءات القرآنية بالسكت ، ونعطي للقارئ مثالا لهذا السكت في رواية حفص عن عاصم.

(قَالُوا : يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ، هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ[1]) هنا سكت أو (مفصل) يفصل ما بين (مرقدنا) وما تلاها (هذا ما وعد الرحمن ...) أي ما بين جملتين وقولين ، الأول ما قاله الكافرون على حالهم يوم الدين (قالوا) أي الكفار : (من بعثنا من مرقدنا) والقول الآخر الثاني ليس للكفار وإنما لمن آمنوا رادين على الكافرين : (هذا) العذاب والموقف الأليم هو (ما وعد) به (الرحمن) والآن والآن (وصدق المرسلون).

وبعض الشعراء ألزم نفسه بما لا يلزمه ، إنه يصنع مفصلا ـ تضمينا ـ داخل الجملة في كلمة رويها ، بل يسير يسير أبعد وأبعد مما سبق ، إنه لا يفصل بين الروي وباقي أجزاء جملتها ، بل يقسمون الكلمة نفسها ، أي كلمة الروي كيف ؟ بالمثال يتضح المقال ، هذا مثال من أبيات كتبها الشيخ أبو العلاء بن سليمان في بعض كتبه ، ذكرها أبو العباس المبرد في كتابه الموضوع في (القوافي).

---

(١) ٥٢ ، يس.

القصيدة تجربة طريفة في شكل القافية ، تقول الأبيات :

١- شبيه بابن يعقوب	ولكن لم يكن يو
٢- سف يشرب الخمر	ولا يزني ولا يو
٣- سع الأمواه بالقهو	ة مزجا لم يكن دو
٤- ن في صبح وإمساء	وهذا منكر ... يو
٥- شك الرحمن أن يصليـ	ـه في نار وخزي هو
٦- لها أهل فلا يكشـ	ـف عنه ربنا السّو
٧- ء إن الأخضر الإبطيـ	ـن ذا الفحشاء لا يو
٨- قد النار لأضياف	ولو قيل له ذو
٩- دنانير وأموال	فيا رحمن لا تو
١٠- سع الرزق على هذا	الذي منظره لو
١١- لؤ... والفعل [١] ستون	فوزن الريش لا يو

ففي هذا البيت الأخير (لا يو) أي : (لا يوزن) إلى المعنى : فوزن الريش لا يوزن ، حتى في هذا البيت الأخير أراد الشاعر قسْم الكلمة ، ذكر قسما - أو نصفا - دون أن يُذكر قسم الكلمة المكمل لها ، ترك الكلمة الأخيرة مبتورة مبتوتة منقطعة منقطعة عن تكملتها المكملة لها ، كما ترى [٢].

ويحسن بنا اقتباس من (كتاب القوافي) للإربلي هو قوله : (والعرب تحمد من الشعر ما كان كل بيت منه قائما بنفسه فذا ، لا تعلق له بغيره ، والعرب تقول إن كل بيت من القصيدة شعر قائم بنفسه ، بل قال علماء النظم : إن الأولى في مطلع القصيدة أن يكون صدره تام المعنى ، واللفظ لا يفتقر إلى عجزه).

(١) زائف ، أي : والفعل زيف رناء ومراءاة ، كالريش لا وزن له ، ولا قيمة.
(٢) موسيقى الشعر العربي للدكتور صابر عبد الدايم ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص١٨٧ وقبلها.

إلى هذا الحد ، ولكن باحثي العربية يريد - بعضهم - أن ينفلت من هذا التصور إلى تصور حديث ، أو ربما حديث بأن القصيدة وحدة واحدة ، أو نص كامل متكامل ، وعلى كل فوحدة الشعر القصيدة ، ويودون الانتقال من وحدة البيت - أو حتى الجملة في النثر - إلى وحدة القصيدة في الشعر ، ووحدة النص ، أو بمعنى آخر الخروج نحو الجملة إلى وحدة النص ، شعرا أو نثرا.

والحق الحقيق الحقاني أن وحدة القصيدة العربية القديمة التقليدية الخليلية هو البيت ، كل بيت هو جملة قائمة بذاتها ، ولكن ، ولكن ماذا ؟ آه من ولكن ... كل بيت يرتبط بما بعده بالشكل الذي رأيناه في التعلق المعنوي ، حيث تنساب العلاقة بين أبيات القصيدة ، كل بيت يأخذ بعجز أخيه.

إلا أن الفصل الواضح المنبت المنقطع في كلمة الروي بما بعدها فهو النادر القليل الذي جاء عفوا أو عجزا أو من التحدي ولزوم ما لا يلزم ، خاصة ما رأيناه فيما سمي بالمجاز ، وكل هذي الأمثلة قليلة - وربما نادرة - من باب الطرافة ، ولكن الشائع الذائع في الشعر العمودي قديما - وحديثا أيضا - البيت وحدة الجملة، كل بيت جملة ، وإن ارتبطت بشكل انسيابي بما يليها من جمل القصيدة وأبياتها ،

أما الفصل بكلمة الروى فقد جاء في أمثلة قليلة لا يعتد بها.

ومن ناحية أخرى فإن كل من التزم بعروض الخليل وعمودية القصيدة قد انبت وانقطع عن التضمين ، تماما تماما ، كما جاء في الشعر القديم.

فأما من انقط وأنبت عن عروض الخليل إلى شعر التفعيلة أو الشعر الحر ، ثم قصيدة النثر فهذا يحتاج إلى دراسة أخرى في مجال النقد الأدبي وقضايا ، وليس هنا.

المادة الثالثة والستون
{٦٣}

السعة والتعدد في العروض والقافية
أوسع دائرة وأبعد مدى من القسر والإلزام .

إن الباده ينظر إلى العروض العربي الخليلي والقافية ، يعتبرها قيودا مقيدة لشعر الشعراء التي يريدها أن تنساب انسيابا ، وهذا ليس صحيحا البتة البتة ، كيف بالله عليك ؟ أنا أقول لك :

أولا - انظر إلى عدد البحور ، أهي قليلة ، على أصابع اليد الواحدة تعد ؟ كلا هي كثيرة كثيرة ، هي ستة عشر بحرا : (الطويل - المديد - البسيط - الوافر - الكامل - الهزج - الرجز - الرمل - السريع - المنسرح - الخفيف - المضارع - المقتضب - المجتث - المتقارب - المتدارك) = ١٦ بحرا.

صحيح أن أكثر أشعار العرب جاءت من الطويل والبسيط ، في حين لم يشع بحرا المديد على سبيل المثال.

هذي البحور من نوع واحد ، على شكل واحد ونسق متحد ؟ كلا وألف كلا ، كيف ؟ أنا أقول لك : هذي البحور لها صور عديدة :

١- التام : وهو ما سلم في عروضه وضربه من الزحاف والعلة ، واستوفى أجزاء دائرته وتفاعيله كاملة ، لا ينقص منها شيء ، وهو ما نجد في الكامل والمتدارك.

فمثال المتدارك التام :

جاءنا عامر سالما صالحا بعدما كان ما كان من عامر

/٥//٥ - /٥//٥ - /٥//٥ - /٥//٥ /٥//٥/٥//٥/٥//٥ - /٥//٥

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

لكن ترى ما معنى (العروض) وهي آخر المصراع أو الشطر أو النصف الأول للبيت ، والجمع (أعاريض) وكلمة (عروض) مؤنثة ، وهي محل الأحكام اللازمة كالعلل أو الزحاف الجارية مجرى العلة كالقبض في الطويل ، والخبن في البسيط ، ولنا وقيفة مع تيك العلل والزحافات.

أما (الضرب) فهو آخر المصراع الثاني أو آخر البيت الشعري ، وجمعها (أضرب) هذي الأضرب يعتريها التغيير لأنهن أواخر ونهايات الأبيات.

أما (الحشو) مفردة ، لا جمع لها ، وهو ما عد العروض والضرب في الشطرين.

(المصراع) نصف البيت ، الأول يسمى المصراع الأول ، في حين يسمى النصف الثاني من البيت بالمصراع الثاني [1].

في بعض أحايين يسمى المصراع الأول بالصدر ، والمصراع الثاني - أو الشطر الثاني - بالعجز.

نعود مرة أخرى لصور البحور الشعرية على تعددها [2] ، فنقول :

---

(1) دراسات في علم العروض والقافية ، تأليف أحمد الشيخ ، مصراتة ١٩٨٨ ، ص٥٩.
(2) السابق ، ص٥٦.

٢- الوافي : إذا استوفى البيت أجزاءه ، لكن دخل عروضه أو ضربه علة لازمة ، أو ما جرى مجراها من التشعيث وغيره سمي وافيا ، وهو ما نجده في بحور (الطويل - البسيط - الوافر - الرمل - السريع - المنسرح - الخفيف - المتقارب) ولا نجد الوافي في البيت الأول من بحور : (الكامل - الرجز - المتدارك).

٣- المجزوء : هو سقوط العروض والضرب ، أو التفعيلة الأخير من الشطر الأول والثاني ، هذا الجزء من البيت لا يأتي في بحور (الطويل - السريع - المنسرح) لكنه يجب في (المديد والهزج والمضارع والمقتضب والمجتث) ، لكنه جائز في (البسيط والوافر والكامل والرجز والرمل والخفيف والمتقارب والمتدارك).

وعليه فإن الجزء هو تخفف من إحدى التفاعيل في البيت ، في شطره الأول (العروض) وفي شطره الثاني ، أي (الضرب).

مثال المجزوء :

في بحر الرمل ثلاث تفعيلات في كل شطر ، هن (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) الجزء يأتي بإسقاط التفعيلة الأخيرة (العروض والضرب) كما في قول الشاعر :

لان حتى لو مشى الذ	ر عليه كاد يدميه
/٥//٥/٥ - /٥//٥/٥	///٥/٥ - /٥//٥/٥٥
فاعلاتن - فاعلاتن	فاعلاتن - فاعلاتانْ

وهكذا.

٤- المشطور : ذهاب نصف البيت ، وهو جائز في بحرين فقط ، هما : (الرجز والسريع) كما في :

يا صاحبي رحلي أقلا عذلي

/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥ - /٥/٥/٥

مستفعلن مستفعلن مفعولن

شطر واحد للبيت ، وليس اثنين كما في مثل :

أرد من الأمور ما ينبغي

وما تطيقه وما يستقيمْ

٥- المنهوك : ويأتي في بيت سقط ثلثاه ، ونجده في البحر سداسي التفاعيل ، أي في كل شطر بيت ثلاثة تفاعيل ، أو بتعبير آخر في الشطر الثلاثي حتى إذا ما حذفنا تفعيلتين ذهب ثلثا الشطر ، كما في الرجز والمنسرح ، وإن كان يكثر في الرجز ، مثل : قول دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جذعْ

/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥

مستفعلن مستفعلن

بدلا من مستفعلن مستفعلن مستفعلن ، ثلاث تفاعيل في كل شطر ، نجد شطرا واحدا ، ونجد البحر مشطورا ، وبعد الشطر ينهك الشطر ، أو ينهك البيت بحذف تفعيلة منه ، أو التفعيلة الأخيرة كما ترى ، وبتعبير أدق تذهب عروضه بعد شطره.

٦- المصمت : البيت الذي خالفت عروضه ضربه في الوزن والروي ، كما في بيت امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرض سدوله

على بأنواع الهموم ليبتلى

فالعروض والضرب مقبوضان ، أي أن التفعيلة الأخيرة من كل شطر مقبوضتان - فيهما قبض - نقص في التفعيلة من :

//ه/ه/ه ← //ه//ه

مستفعلن ← مفاعلن

لقد تم حذف الساكن من //ه/ه/ه لتصبح //ه//ه ، إذ البيت من الطويل :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

على أية حال فإن العروض تختلف رويها عن الضرب ، ففي العروض (سدوله) وفي الضرب (ليبتلى).

٧- <u>المصرع</u> : أن تكون العروض مثل الضرب في الزيادة والنقصان ، فمثال الزيادة :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان

وربع خلت آياته من أزمان

كيف بالله عليك ؟ البيت من بحر الطويل :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

هذا الطويل يجب فيه قبض عروضه ، أي تحول :

//ه/ه/ه ← //ه//ه

مفاعيلن ← مفاعلن.

ولكن الشاعر أهمل هذا الحذف ، فجاء البيت زائدا عما اعتاد عليه مستخدمو هذا البحر من القبض ، وهكذا.

أما التغيير بالنقص :

أجارتنا إن الخطوب تنوب	وإني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنا مقيمان ههنا	وكل غريب للغريب نسيب

في عروض البيت الأول ـ وكلا البيتين من الطويل ـ أي كلمة (تنوب) //٥/٥ مفاعل ، كان من المفترض أن تكون العروض مقبوضة ، أي : //٥/٥/٥ ← //٥//٥ ، وليس //٥/٥ ، كما جاء في عروض البيت الأول.

٨ـ المقفى : عندما تتساوى العروض مع الضرب والضرب مع العروض في الوزن والروي ، كما جاء في :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

العروض والضرب على أصليهما في (القبض) = //٥/٥/٥ ← //٥//٥ ، العروض = ومنزلي ، والضرب أيضا : فحوملي ، كلتاهما //٥//٥ أي : مفاعلنْ.

٩ـ المدور : المفترض أن لا تشطر كلمة بين مصراعي البيت ، فلا تبدأ كليمة في الشطر الأول أو المصراع الأول ، وتكمل في الشطر الثاني ، أي لا تشطر الكلمة الواحدة بين شطري البيت ، كما في بيتي أمية بن أبي الصلت :

عين بكى بالمسبلات أبا الحا	رث ، لا تذخرى على زمعة
وعقيل بن أسودٍ أسد البأ	س ليوم الهياج والدفعه

فكما أن الجملة لا تنكسر ولا تنفصل بشكل واضح قاطع في ضرب البيت ـ كما سبق ـ فإن الكلمة الواحدة لا لا تنشطر بين مصراعي البيت الواحد ، وإلا عد البيت :

(مدرجا) أو (مدخلا) أو (مدمجا) ويكثر في البحور القصيرة القصار كبحر الهزج (مفاعيلن ـ مفاعيلن ـ مفاعيلن) لكنه لا يأتي إلا مجزوءا باقتطاع واحدة من كل شطر ليبقى على تفعيلتين فقط ، أي : (مفاعيلن مفاعيلن).

ويكثر أيضا في الخفيف : (فاعلاتن ـ مستفعلن ـ فاعلاتن) ليصبح (فاعلاتن مستفعلن).

على أية حال وبعبارة أخرى فإن الأصل والأولى أن لا تنشطر كليمة بين شطري البيت الواحد ، فجل ما نطالعه من شعر بني يعرب هو على هذي الشاكلة.

وقد نظرت عينة من عدة قصائد ، هن :

١ـ تائية دعبل بن علي الخزاعي التي سبقت إليها الإشارة.

٢ـ نونية أبي البقاء الرندي ، مطلعها :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

٣ـ يائية مالك بن الريب التميمي ، في مطلعها :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

٤ـ ميمية الفرزدق في مدح زين العابدين (عليه السلام) وفي مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

٥ـ تائية حافظ إبراهيم ، شاعر النيل :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

٦- ميمية المتنبي إلى سيف الدولة الحمداني :

واحر قلباه ممن قلبه شبم

ومن بجسمي وحالي عنده سقم

٧- معلقة النابغة الذبياني الرائية :

عرجوا فحيوا لنعم دمنة الدار

ماذا تحبون من نؤي وأحجار

في كل هذي القصائد على طول بعضها لا أجد انشطارا لواحدة من كليماتها ما بين الشطر الأول والشطر الثاني ، أو بين شطري البيت.

وعليه فعدم الانشطار هو القاعدة والأساس والأولى ، أما الانشطار فهو الاستثناء وهو خلاف الأولى ، وبعد عن القاعدة ، وهو ما جاء في أقل أقل القليل ، نادر نادر ، وغير شائع.

والآن علينا أن ننتقل إلى المادة التالية من دستور لغيتنا العربية ، فما هي هذي المادة ؟ إنها :

المادة الرابعة والستون
{٦٤}

من أخص خصائص شعر عرب بني يعرب الاختصار والاختزال ، وهو ما نجده في ذياك الاختصار الذي تتعرض له البحور ، وقلما منه تنجو أو تعطل .

كيف بالله عليك ؟ وقبل كيف، قل لي ـ طول الله عمري وعمرك ـ حبا وكرامة ، بكل السرور والحبور أسرد فأقول :

في قصة البحور ـ رحمك الرحمن ـ إذا قيل لنا عندنا ستة عشر بحرا وجدنا تيك البحور قلما تكتمل ، لكن أين التفصيل والتمثيل ـ يا رعاك الله ؟ هذا ما تريد وإليه ترنو :

بحور الشعر تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولا ـ بحور ، هي لا تنجزئ البتة ، وهي :

١ـ الطويل.

٢ـ السريع.

٣ـ المنسرح.

وهاك التفصيل :

١- الطويل : وهو أكثر البحور شيوعا ودورانا في شعر عرب بني يعرب ، سمي بهذا المسمى لكثرة حروفه التي يمكن أن تصل إلى ٤٨ (حرفا) ولا يشاركه في هذا الطول بحر آخر غير الطويل ، ولأنه لا يأتي مجزوءا ، ولا مشطورا ، ولا منهوكا ، يقول صفي الدين الحلي :

طويل له بين البحور فضائل   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

الطويل - أطال عمرك - لا ينقص أبدا ، لا يأتي مجزوءا ولا مشطورا ، ولا منهوكا ، وهو البحر الوحيد من بين كل البحور لا يتآكل شيء منه.

البحران الآخران ، أي : (السريع والمنسرح) هذان البحران لا ينجزنان ؟ نعم ، وإن كان لهما شان آخر مختلف عن الطويل ، كيف ؟.

٢- السريع : سمي بالسريع لسرعته في اللسان والتقطيع :

بحر سريع ماله ساحل   مستفعلن مستفعلن فاعلن

بحر السريع - يا رعاك رحمن رحيم - يأتي تاما أو مشطورا ، فقط ؟ فقط ، ولا يكون مجزوءا ، ولا بحال من الأحوال ، يا إلهي بحير لا ينجزئ بتة بتة ، ولا يأتي منهوكا مطلقا مطلقا.

عجب عجاب في عباب بحر هائج هياج ما ماؤه ملح أجاج !! أنا أفسر لك نياك اللغز.

إنه إذا انجزأ أصبح (مستفعلن مستفعلن) فتشابه مع مجزوء الرجز ، هذا البحير الأخير تفاعيله ثلاثية (مستفعلن مستفعلن مستفعلن) فإذا انجزأ كان مستفعلين هكذا (مستفعلن مستفعلن).

جاء الجزء في الرجز ولم يأت في السريع لأنه ثلاث مستفعلات ، فحذف واحدة منهن أكثر منطقية من حذف (فاعلن) الواحدة الوحيدة هنا ، الرجز كم أكبر من (الحروف) والأصوات ، السريع كميته أقل ، قارن :

- الرجـز : مستفعلن مستفعلن مستفعلن
- السريع : مستفعلن مستفعلن فاعلن

قارن بين مستفعلن = /٥/٥//٥ ، وبين فاعلن = /٥//٥.

٣- المنسرح : سماه الخليل بهذا الاسم لانسراحه وسهولته ، ويميزه أن مستفعلن التي تقع في ضربه لابد من تغييرها بزحاف الطي ، مع أنها في غير المنسرح من البحور يمكن أن تأتي تامة على الأصل ، أي : /٥/٥//٥ ، دون مساس بها.

لكن ترى ما الطي هذا ، أو ما هو هذا الطي ؟ إنه تحول مستفعلن /٥/٥//٥ إلى /٥///٥ = مفتعلن ، والطي ليس مختصا بالمنسرح ، أو بمستفعلن المنسرح هذا ، لكنه عام في مستفعلن التي تصبح /٥///٥ ، بحذف الساكن الثاني من التفعيلة المذكورة ، إنها تحتوي على ثلاثة سواكن - كما ترى - حذف الأوسط منهما أو الثاني ، مرة أخرى لاحظ :

قبل الطي	بعد الطي
/٥/٥//٥	/٥///٥

على أي الأحوال فالمنسرح يحظى بست تفعيلات ، هن :

منسرح فيه يضرب المثل	مستفعلن مفعولاتُ مفتعلن
/٥/٥//٥ - /٥/٥/٥ - /٥/٥//٥	/٥/٥//٥ - /٥/٥/٥/ - /٥///٥

يلاحظ الطي في الضرب ، هذي التفعيلة التي تأتي نهاية الشطر الثاني من البيت.

على أي حال فإن المنسرح لا يأتي مجزوءا البتة ، كما في سابقيه ، الطويل والسريع ، مع الأخذ في الاعتبار أن الطويل وحده وحده لا يجزأ ولا يشطر ولا ينهك ، في حين نجد السريع والمنسرح لا ينجزئان ، نعم هما لاينجزئان ، لكنهما يمكن أن ينهكا.

مع ملاحظة أن البحرين ، بحر السريع وبحر المنسرح يفترقان في أن السريع يمكن أن ينشطر ، أما المنسرح فلا ينشطر ولا يشطر البتة.

مرة أخرى نعيد أن :

- التام : أي البحر التام الذي يبقى على تفاعيله كاملة كاملة.
- المجزوء : الذي فقد تفعيلة واحدة من تفاعيله ، هي العروض أو الضرب ، أي التفعيلة الأخيرة من كل شطر ، نهاية كل مصراع من مصراعي البيت ، مثل مجزوء الخفيف :

عتب ما للخيال	خبريني ومالي
/٥//٥/٥ - //٥/٥	/٥//٥/٥ - //٥/٥
فاعلاتن فعولن	فاعلاتن فعولن

لاحظ أن الخفيف :

يا خفيفا خفت به الحركات

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

لقد تم حذف التفعيلة الأخيرة (فاعلاتن) وتحولت العروض والضرب من مستفعلن إلى فعولن ، هذي التفعيلة الأخيرة أصيبت بالخبن والقصر ، الخبن تحول /٥/٥//٥ إلى //٥//٥ ، ثم تحولت إلى //٥/٥ فعولن.

- المشطور : البحر المشطور ، أو الذي يقبل الانشطار حيث يبقى البيت على شطر واحد من البيت ، لا غير ، مثل : يا رب إن أخطأت أونسيتُ

فأنت لا تنسى ولا تموتُ

هذا من مشطور السريع :

بحر سريع ماله ساحل مستفعلن مستفعلن فاعلن

وبما أننا في بحر السريع سابحون ، فإنه يجدر أن يذكر وأن يقال أن السريع لا ينهك ـ كما أنه لا يجزأ ـ حتى لا يلتبس بالرجز ، كما سبق ، لكن :

- المنهوك : أي البحر المنهوك هو اقتطاع ثلثي التفاعيل أو التفعيلات ، فلا يبقى في كل شطر إلا تفعيلة واحدة ، وهو يكثر في الرجز :

في أبحر الأرجاز بحر سهل

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

هذا هو البحر تاما تاما ، وعند النهك يبقى على شطر واحد ، هو العروض والضرب ، مثل :

يا ليتني	فيها جذعْ
/٥/٥//٥	/٥/٥//٥
مستفعلن	مستفعلن

نعود مرة أخرى نلخص ما قلنا فنقول : هناك بحر واحد هو الطويل الذي لا يقبل المساس بأية تفعيلة ، لا يتنازل عن واحدة من تفعيلاته.

ثم هناك بحور - أو قل بحران - لا ينجزئان ، هما السريع والمنسرح ، الأول فعلا لا ينجزئ ، لكنه يأتي تاما أو مشطورا فقط ، فقط فقط لا ينجزئ ولا يأتي منهوكا ، له حالتان فقط تمام أو شطر ، بعيد عاطل عن الجزء - بفتح الجيم - والنهك.

أما المنسرح فيأتي تام التفاعيل ، أو يأتي منهوكا ، إذن هو بعيد عن الجزء أو الشطر ، هو تام أو منهوك فقط ، مثل المنهوك من المنسرح ، أو منهوك المنسرح :

هل بالديا	ر إنس
/٥/٥//٥	//٥/٥

مع ملاحظة أن /٥/٥//٥ تحولت إلى //٥/٥ ، إذ حدث للأولى /٥/٥//٥ خبن وطي ، وأصبحت فعولن ، والآن ننتقل إلى النقطة التالية :

ثانيا - بحور يجب جزؤها : وهي ...

- المديد.
- الهزج.
- المضارع.
- المقتضب.
- المجتث.

ومعنى هذا أن ما سبق من البحور لا تأتي تامة البتة وهذا مثال على هذا المقال.

هذا المجتث الذي سمي بهذا لاحتثاثه واقتطاعه من بحر الخفيف ، وأصل المجتث :

اجتثت الحركات   مستفع لن فاعلاتن

والمجتث كما ترى لا يأتي إلا مجزوءا وجوبا وجوبا ، مثل :

أنت امرؤ لك شان   فيما أرى غيرشاني

/٥/٥//٥ - ///٥/٥   /٥/٥//٥ /٥//٥/٥

مستفع لن - فعلاتن   مستفعلن فاعلاتن

ثالثا - بحور يجوز جزؤها : ولا يجب ، وهي بحور ...

- البسيط.
- الوافر.
- الكامل.
- الرجز.
- الرمل.
- الخفيف.
- المتقارب.
- المتدارك.

هذا مثال من البسيط ، الذي يجوز فيه الجزء ، لكنه لا يجب :

ماذا وقوفي عن ربع خلا

مخلولق دارس مستعجم

/٥/٥//٥ - /٥//٥ - /٥/٥//٥

/٥/٥//٥ - /٥//٥ - /٥/٥//٥

مستفعلن فاعلن مستفعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن

هذا جزء البسيط ، إذ هو في الأصل والأساس :

إن البسيط لديه يبسط الأمل

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

رابعا ـ بحور يجوز شطرها : ولا يجب ، الشطر هو : ذهاب نصف البيت ، أو بقاء نصف البيت ، وهو جائز في بحرين اثنين فقط :

- الرجز.
- السريع.

مثال السريع المشطور :

يا صاحبي رحلى أقلا عذلي

/٥/٥//٥ ـ /٥/٥//٥ ـ /٥/٥/٥

مستفعلن مستفعلن مفعولن

إذن في المشطور اقتصار على شطر واحد من شطري البيت أو مصراعيه ، والشطر مختص جوازا بالسريع والرجز ، والرجز والسريع.

خامسا ـ بحور منهوكة : والبحر المنهوك ما سقط ثلثاه ، عندما تكون تفاعيل البيت ست ، في كل شطر ثلاث تفاعيل ، وهو جائز في بحيري الرجز والمنسرح .

مثال النهك في بحر المنسرح :

ويل أمّ سعد سعدا

/٥/٥/٥ - /٥//٥/٥

مستفعلن - مفعولن

مرة أخرى البحر المنسرح يقوم على ست تفاعيل ، ثلاث في كل شطر أو مصراع : مستفعلن مفعولات مفتعلن.

المنسرح يأتي تاما ، أي تام التفاعيل الست ، أو منهوكا - كما رأيت - ولا يأتي مجزوءا ، ولا مشطورا.

والنهك هو ذهاب من ٢/٣ البيت أو تفاعيله ، أي ذهاب ٤ تفعيلات من تفاعيله ، وبقاؤه على تفعيلتين ثنتين فقط فقط.

والآن بعد أن فرغنا عن البحور في تقسيماتها التي تعطي مساحة واسعة من الحرية و(البحبحة) ينهل منها الشعراء ، برغم ما ربما يراه باده بادر من أن العروض ووزن الشعر العربي قيد مقيد للشعراء والناظمين ، وهو ما سجلته المادة السابقة على هذي المادة التي سجلت للشعر خاصيته المهمة في وسمه ورسمه بالاختصار والتركيز والإيجاز.

وهو ما يحتاج مادة أخرى أو أكثر ، وهو ما نجده في المادة التالية التي تخصص لما يسمى بالعلل والزحافات ، إذ هي في جلها اختصارات وتركيزات.

المادة الخامسة والستون
{٦٥}

إذا قيل إن سمة الشعر الواضحة الفاضحة الاختصار والتركيز والإيجاز.وقد بدا هذا في تقسيمات البحور ، وفيها بحر واحد ليس إلا هو الذي لا يمس هو طويلهم ، وما عداه يدور حول الجزء والشطر والنهك ، ويظهر فيه أيضا ما يسمى بالزحافات والعلل.

رأينا أن البحور لا تأتي تامة ، لا ينقص منها شيء عدا بحر الطويل ، وقد سبق تفصيل هذا ، فالإفاضة فيه إفاضة تامة الإفادة.

وننتقل من تيكم البحور وأحوال إنقاصها وأشكاله ، إلى ما يسمى بالزحافات والعلل ، إنها بالمختصر المفيد ومن الخلاصة ، ومن الآخر ، هي أضراب وأشكال وصور للإنقاص أو تآكل في التفعيلات ، في حالات ثلاث فقط نجد العلل زيادة على التفعيلة أو إضافة ، كيف ؟ هذا ما عليك أسرده :

أولا ـ ما الفرق بين العلة والزحاف ؟ نبدأ أولا بالعلة وجمعها علل ، العلة هي :

١ـ تغيير غير مختص بثواني الأسباب.
٢ـ هذا التغيير يقع في العروض والضرب.
٣ـ إذا دخل لزم في القصيدة كلها.
٤ـ العلة قد تكون بالزيادة أو النقص.

العلة بالنقص في التفعيلة تعطيها خفة ، تبعد بها عن الثقل والرتابة ، نوع من الاختصار في التفعيلة ، كدأب الشعر دوما في أخص خصيصة من خصائص شعر عربية بني يعرب.

أما علل الزيادة وهي أقل القليل ، ثلاث علل فقط فقط هي التي وجدناها في الزيادة ، له مبرراتها ومسوغاتها مما نراه في موضعه ، هذي العلل تمط النغمة وتجعل موسيقى البيت تسترسل وتمتد ، ولعلها بزيادتها تعويض عن قصر البيت ، إذ نرى أن علل الزيادة لا تكون إلا في البحور الناقصة ، أي عندما تتعرض لنقص يعتورها.

وقبل أن نذكر علل الزيادة نشير إلى مصطلح الأسباب في قولنا (ثواني الأسباب) ثواني مفرد ثان أو (ثاني) أي الحرف الثاني من السبب ، والسبب جمع أسباب ، أو جمعه أسباب.

فما هو السبب ؟ إن البيت يحتوي على تفعيلات ، كل واحدة مكونة من أجزاء ، هذي الأجزاء هي :

- سبب خفيف : ما تكون من صامت متحرك بعد ساكن ، مثل : (ما ـ عنْ) يعبر عنهما عروضيا /٥ ، متحرك فساكن.

- ويلاحظ أن العروض يعتبر الحركة الطويلة ، كما في (في - لي - لا ...) ساكنا ، يسوي بينها وبين الصامت الساكن في مثل (عنْ - قد) وهذا ما سوف يفصل في مادة لاحقة من مواد دستور اللغة العربية.
- سبب ثقيل : ما تكون من صامتين متحركين ، كما في (لم - بم) بفتحة قصيرة على الميمين ، ومثل (به - له) بكسرة قصيرة على هاء الكلمة الأولى ، وضمة على الهاء في الثانية ، ويعبر عن السبب الثقيل بهذا الشكل //.
- وتد مجموع : ثلاثة أحرف ، متحركان فساكن هكذا //٥ ، كما في (لها - على - بنو).
- وتد مفروق : /٥/ متحركان بينهما ساكن ، كما (أين - قال).

يبقى لدينا ما يسمى بالفواصل ، الصغرى ///٥ ثلاثة متحركات ثم ساكن ، كما : (علما - كتبا) والكبرى ، أي الفاصلة الكبرى ////٥ أربع متحركات والخامس ساكن (كتبتا - نصرنا).

فالفاصلة الصغرى ///٥ تتكون سببين ، الأول ثقيل // والثاني التالي خفيف /٥ ، أما الفاصلة الكبرى ////٥ فتتكون من سبب ثقيل // ويليه وتد مجموع //٥.

وهكذا نجد التفعيلة - أية تفعيلة - تتكون من /٥ سبب خفيف أو ثقيل // أو وتد مفروق /٥/ أو مجموع //٥ ، أما الفاصلة الصغرى والكبرى فإنما هي بعض ما سبق من أسباب وأوتاد ، وقد جمع الخليل ما سبق في عبارة (كم /٥ أر // على //٥ جبل ///٥ سمكة ////٥.

على أي الأحوال فإن ما سبق من أسباب وأوتاد ينتج عنها هذي التفعيلات العشرة الآتية :

أ ـ تفعيلات خماسية ، وهما ثنتان فقط

- فعولن //ه/ه
- فاعلن /ه//ه

ب ـ تفعيلات سباعية ، هن ثمان :

- مستفعلن /ه/ه//ه
- مفاعيلن //ه/ه/ه
- مفاعلتن //ه///ه
- فاعلاتن /ه//ه/ه
- متفاعلن ///ه//ه
- مستفع لن /ه/ه//ه
- فاع لاتن /ه//ه/ه
- مفعولاتُ /ه/ه/ه/

هذي التفاعيل العشر منها ما هو أصلي ، وسمته ابتداؤه بوتد مجموع أو مفروق ، وهن أربع :

- //ه/ه فعولن.
- مفاعيلن //ه/ه/ه
- //ه///ه مفاعلتن
- فاع لاتن /ه//ه/ه

ومن التفاعيل ما هو فرعي وهو بقية العشرة ، وهؤلاء الست ، أو هذي الست هن :

- فاعلن /ه//ه

- مستفعلن /٥/٥//٥
- مستفع لن /٥/٥//٥
- فاعلاتن /٥//٥/٥
- متفاعلن ///٥//٥
- مفعولاتُ /٥/٥/٥/

وعلامة هذي التفاعيل الفرعية بدؤها بسبب ثقيل // أو سبب خفيف /٥

والآن مع أنواع العلل :

أولا ـ علل الزيادة : هذي العلل التي تأتي بزيادة بعض العناصر على التفعيلة ، وهن ثلاث :

١ـ الترفيل : زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع ، ويدخل في تفعيلتين فاعلن /٥//٥ ـ متفاعلن ///٥//٥ ، حيث تصبح الأولى أي فاعلن تصبح /٥//٥/٥ ، وتصبح الثانية متفاعلتن ///٥//٥/٥.

لاحظ أن ///٥//٥ ـ /٥//٥ كلتيهما تنتهي بوتد مجموع //٥ ، ثم يزاد عليه سبب خفيف /٥ لتصبح التفعيلتان /٥//٥/٥ ـ ///٥//٥/٥ وهو ما يدخل مجزوء المتدارك ومجزوء الكامل.

مثالان ، واحد من مجزوء المتدارك وثان من مجزوء المتدارك :

ـ قول الحطيئة :

ولقد سبقتهمُ إلىْ	فلم نزعتَ وأنت آخر
///٥//٥///٥//٥	///٥//٥///٥//٥/٥

لاحظ أن الضرب التفعيلة الأخيرة في بيت الحطيئة جاءت مرفلة ، زدنا ره على ///ه//ه فأصبحت ///ه//ه/ه.

هذا مثال لمجزوء الكامل ، ونعطي الآن مثالا على مجزوء المتدارك عندما دخله الترفيل :

دار سعدى بشحر عمان	قد كساها البلى الملوايه
/ه//ه - /ه//ه - ///ه/ه	/ه//ه - /ه//ه - ///ه/ه
فاعلن فاعلن فعلاتن	فاعلن فاعلن فعلاتن

يلاحظ أن العروض صرعت أو حدث لها تصريع ، أي ألحقت أو أشبهت العروض ضربها أو الضرب ، في أن كليهما ، العروض والضرب - لحقهما الخبن ، تحولت /ه//ه إلى ///ه ، كما لحقهما الترفيل أي زيادة /ه على /ه//ه.

ومن ثم قال العروضيون جاء الترفيل أولا ، أي الزيادة ، ثم الخبن ، أي النقص ، كانت الخطوات كالآتي :

/ه//ه ←ترفيل /ه//ه/ه ←خبن ///ه/ه

٢- التذييل : زيادة ساكن على ما آخره وتد مجموع ، فاعلن /ه//ه ← /ه//هه ومتفاعلن ///ه//ه ← ///ه//هه ومستفعلن /ه/ه//ه ← /ه/ه/ههه.

وعليه فقد التقى ساكنان كما ترى نهاية التفعيلة ، وهو ما سيتضح في الأمثلة.

على أي حال فإن التذييل يدخل بحورا ثلاثة ، هي :

- مجزوء الكامل.
- مجزوء البسيط.
- مجزوء المتدارك.

ففي مجزوء الكامل :

جدث يكون مقامه　　　أبدا بمختلف الرياحْ

///٥//٥ - ///٥//٥　　　///٥//٥ - ///٥//٥٥

متفاعلن - متفاعلن　　　متفاعلن - متفاعلانْ

التذييل جاء في الضرب ، التفعيلة الأخيرة في البيت ، ولم يأت في العروض ، أي التفعيلة الأخيرة في الشطر الأول من البيت.

ومن مجزوء البسيط :

يا صاح قد أخلفت أسماء ما　　　كانت تمنيك من حسن الوصالْ

/٥/٥//٥ - /٥//٥ - /٥/٥//٥　　　/٥/٥//٥ - /٥//٥ - /٥/٥//٥٥

مستفعلن فاعلن مستفعلن　　　مستفعلن فاعلن مستفعلانْ

لاحظ أن الضرب في البيت تحول من /٥/٥//٥ إلى /٥/٥//٥٥.

ومن مجزوء المتدارك :

هذه دراهم أقفرت　　　أم زبور محتها الدهورْ

/٥//٥ - /٥//٥ - /٥//٥　　　/٥//٥ - /٥//٥ - /٥//٥٥

فاعلن - فاعلن - فاعلن　　　فاعلن - فاعلن - فاعلانْ

في هذا التذييل زاد ساكن ، هذا الساكن سبقه ساكن آخر ، وإن كان من نوع آخر ، الأول حركة طويلة ، جاءت قبل صامت ساكن في مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص) كما جاء في نهاية الأبيات السابقة (يا خْ) من كلمة (رياحْ) و (صالْ) من كلمة (وصالْ) و (هور) من كلمة (الدهور).

لقد اعتبر علماء العروض كلا النوعين (الحركة الطويلة) وكذا (الصامت الساكن) اعتبروا كلا النوعين سكونا ، وهو خلط بين شيئين مختلفين تماما تماما ، ولنا عود إلى هذا النقيطة فيما بعد ، نجلي جوانبها ، ونبقر بطونها.

لكن الذي التقى هنا حركة طويلة مع صامت ساكن بعده ، وهذا ممكن في العربية ، وقد جاء لاستكمال موسيقى البيت الذي انتهى بحركة طويلة تلاها صامت ساكن ، وهو ما شاع وكثر في فواصل الآيات القرآنية عند الوقف عليها ، اقرأ :

(بسم الله الرحمن الرحيمْ ، الرحمنْ ۞ علم القرآنْ ۞ خلق الإنسانْ ۞ علمه البيانْ ...)

الوقف على رءوس الآي بالسكون يشبه صوتيا ما وجدناه من التذييل ، مع الأخذ في الاعتبار أن الوقف على رءوس الآي جائز ، أي يجوز أن نقرأ بوصل الآيات فلا نجد هذا السكون الذي جاء بسبب الوقف ، في حين نجد السكون في الأبيات المذيلة ، أي دخلها التذييل لا محيص عنه ، ولا سبيل إلى تخطيه.

وعلينا شئنا الآن ورضينا أم عنه أبينا ، علينا عودا وانتقالا إلى القافية لنقول من أجزاء القافية ما يسمى بالردف ، وهو :

حرفٌ قبل الروى ، أي : حركة طويلة ، واو مد ، ألف مد ، ياء مد = ضمة طويلة ، فتحة طويلة ، كسرة طويلة.

كما في الأمثلة السابقة للتذييل ، لاحظ الكلمات الأخيرة هذي الأمثلة :

- الرياحْ.
- الوصالْ.
- الدهورْ.

تيك الحركات الطوال قبل الروى هو ما يسمى بالردف ، وهو حسن عند سكون حرف الروى ، كما في أمثلتنا.

ومن طرافة أن العربية تجيز الردف بالحركة الطويلة ، وبشي آخر ، هو الواو والياء اللينتان إن سكنتا ، وفتح ما قبلهما (قوْل - قيل) وهذا ملمح من ملامح العربية حيث سوت في بعض الأحيان بين الحركات الطوال وبين صوتي اللين (الواو والياء) إن سكنتا وفتح ما قبيليهما.

من هاتيك الأحايين :

١- مد الواو والياء اللينتين في مواضع المد ، مثل قبل الهمزة ، أو السكون ، وهذا اقتباس من البنا الدمياطي [١].

وأما حرفا اللين ، الواو والياء الساكنتان ، المفتوح ما قبلهما فاختلف في إلحاقهما بحروف المد ، لأن فيهما شيئا من الخفاء وشيئا من المد ، وإنما يسوغ الإلحاق بسببيه ، الهمز مع الاتصال أو السكون ... كشيء وكهيئة ...)

ويضيف صاحب الإتحاف [٢] : (وأما السكون بعد حرفي اللين ، فإما لازم أو عارض ، وكل منهما مشدد وغير مشدد ، فاللازم المشدد هاتين بالقصص واللذين بفصلت في قراءة ابن كثير بالتشديد أي بتشديد النون في الكلمتين (هاتين - اللذين) في قراءة ابن كثير.

---

(1) ص ٤٢ وقبلها.
(2) السابق.

(واللازم المخفف ، وهو عين [1] أول مريم ... والعارض غير المشدد نحو : الميت ـ الليل حال الوقف بالسكون).

ثم يفصل مولف النشر كيف تمد الواو والياء الساكنتان في كل ما سبق عند مختلف القراء ، ما بين القصر والتوسط أو المد ، وليرجع إلى بقية النص من يروم تفصيلا وبسطا.

٢ـ في كتابة الهمزة تسوي العربية أحيانا بين الحركات الطوال وبين الواو والياء الساكنتين ـ إن فتح ما قبيليهما.

ففي مثل (هيئة ـ توءم) كتبت الهمزة في الكليمة الأولى على نبرة ، وكأن حقها أن تكون على ألف طبقا لقاعدة أولى الحركتين أو أقوى الحركتين ، للقد وقعت الهمزة بين سكون وفتح ، نعم هذا صح وصحيح ولكن !! ولكن العربية اعتبرت الياء الساكنة المفتوح ما قبلها كأنها كسرة طويلة ، ولذا كتبت الهمزة على نبرة ـ أو على ياء ـ كما رأينا في (هيئة ـ حطيئة) وفي أغيارهما.

وفي مثل : (توءم) و (سوءة) اعتبرت الواو الساكنة المفتوح ما قبلها كأنها واو مد أو ضمة طويلة ، فوقعت الهمزة بين فتح وضمة فكان حقها طبقا لقانون أولى الحركتين أو أقوى الحركتين أن تكتب على واو كما في (رؤوف) ولكن العربية تميل عن توالي الواوين في الكتابة ، فأصبحت (رؤوف) ← رءوف ، و(تبوؤ) ← (تبوء).

على أية حال فقد أفضت في تيك النقيطة في بحثي المميز الموسوم (القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل ...) فليرجع من رام تفصيلا.

---

(1) أي كلمة (عين) في مفتتح سورة مريم.

على أي الأحوال فالعربية تسوي ـ في الوظيفة ـ من بعض الوجوه بين واو المد والواو اللينة ، وبين ياء المد والياء اللينة ، وإن جعلت الواو اللينة والياء اللينة في مرتبة أقل من الواو والياء المديتين.

هذان الصوتان اللينان هما في التعبير الصوتي الحديث أنصاف حركات أو أنصاف صوامت ، هما لهما وجيهان ، الأول وظيفي والثاني نطقي ، فهما من الناحية النطقية يشبهان الحركتين الطويلتين في شكل الشفتين واللسان :

- في الواو المدية واللينة تضم الشفتان ، وكذا الشفتان في الياء المدية واللينة كلتيهما الشفتان محايدتان أيضا.
- كذلك الشان مع اللسان في الواوين المدية واللينة يرتفع الجزء الخلفي من اللسان ، يفرق بينهما درجة الارتفاع.
- وفي الياءين يرتفع الجزء الأمامي من اللسان ، مع اختلاف في درجة الارتفاع ، أو كما عبّر أستاذنا الدكتور كمال بشر ـ أمد الله في عمره ـ في كتابه [1] :

(يطلق هذا المصطلح ـ أنصاف الحركات ـ على تلك الأصوات التي تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات ، ولكنها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى ، ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الانزلاقية ولقصرها وقلة وضوحها في السمع إذا قيست بالحركات الصرفة اعتبرت هذه الأصوات أصواتا صامتة لا حركات ، برغم ما فيها من شبه واضح بالحركات وعندنا في العربية من هذا النوع صوتان ، الواو والياء في : ولد ـ بيت).

صفوة الكلام في كل ما سبق أن العربية تتعامل مع الواو والياء اللينتين ـ وظيفيا ـ كما تتعامل مع المديتين وإن بدرجة أقل من اللينتين.

---

(1) علم اللغة العام (الأصوات) القاهرة ١٩٧٠ ، ص١٧٠.

ونخرج من كل ما سبق إلى البحث عن أمثلة للردف في القافية من الأصوات اللينة :

- **الواو اللينة :**

ما لهذا الضباب يغشى مكاني

ولهذا السكون يرقد حولي !!

أنا من وحشة الليالي أعاني

ما يعاني الغريب من كل هول

- **الياء اللينة :**

في شعاب النسيان أفردت وحدي

فعبرت الأيـام حيـا كميت

أجد الغدر والجحود من النا

س وألقى الظلام في عقر بيتي

وفي الردف - يا رعاك - الألف المدية تلتزم في جميع الأبيات ، ولا تتعاقب مع واو أو ياء ، في حين نجد الواو تتعاقب مع الياء ، والعكس صحيح ، هذا في الأصوات المدية ، ألف المد ، واو المد ، ياء المد.

وكذلك الشان مع الواو ومع الياء اللينتين ، في تعاقبهما في الردف :

يا أيها الخارج من بيته   وهاربا من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزاد له   فارجع تكن ضيفا على الضيف

وهكذا شان الواوين والياءين بنوعيهما يتعاقبان ولنا عود إلى هذي النقيطة فيما بعد.

وحان الآن عود إلى علل الزيادة ، إذ بقي منها :

٣- التسبيغ : زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ، كيف ؟ فاعلاتن ← فاعلاتان /ه//ه/ه ← /ه//ه ه ، ولا يدخل إلا مجزوء الرمل :

لان حتى لو مشى الذ	ر عليه كاد يدميه
/ه//ه/ه - /ه//ه/ه/	///ه/ه - /ه//ه/ه ه

والردف لازم هنا ، أي حركة طويلة أو لين قبل الروى.

وعليه فإن علل الزيادة (الترفيل - التذييل - التبسيغ) تتميز بما يلي :

- هي الأقل ، هي ثلاث فقط.
- في الترفيل زيادة سبب خفيف /ه ، أي مقطع من صامت وحركة طويلة ، كما في (لا - ما) أو صامت متحرك وآخر ساكن (من - لن).
- أما التذييل والتسبيغ فهو زيادة ساكن فقط ليلتقي ساكنان نهاية التفعيلة.
- وبما أننا ننظر إلى هذي الأنواع الثلاثة إنما هي زيادات ، ولذا كان من المنطقي أن تختص بمجزوءات البحور (المتدارك - الكامل - البسيط - الرمل) إن هذي الزيادات تجبر كسر هذي البحور ، وتقويها بتيك الزيادات ، التي ما اقتربت اقترابا من البحور إذا تمت.

والآن ما رأى القارئ أن نقدم استراحة خفيفة بعدها نعاود الحديث عن العلل ، أي علل النقص وهي كثيرة كثيرة ، بعد أن فرغنا من علل الزيادة ، وهي قليلة قليلة - كما رأينا - ما زادت في زيادتها عن ثلاث زيادات :

- الترفيل.
- التذييل.
- التسبيغ.

بعد هذي الاستراحة نعود إلى علل النقص ، وهي عديدة ، ثلاثة أضعاف علل الزيادة ، هذي النقوص ، تسعة هي :

١ـ الحذف : حذف السبب الخفيف /ه من آخر الجزء : ونجده في التفعيلتين ، مفاعيلن وفاعلاتن ، وذاك بالشكل الآتي :

مفاعيلن ← مفاعي = //ه/ه/ه ← //ه/ه

فاعلاتن ← فاعلا = /ه//ه/ه ← /ه//ه

وتدخل بحور الطويل والمديد والهزج والرمل والمتقارب والخفيف ، وهذا مثال من الخفيف :

إن قدرنا يوما على عامر

ننتصف منه أو ندعهُ لكمْ

/ه//ه/ه ـ /ه/ه//ه ـ /ه//ه

/ه//ه/ه ـ /ه/ه//ه ـ /ه//ه

فاعلاتن ـ مستفع لن ـ فاعلن

فاعلاتن ـ مستفع لن ـ فاعلن

لاحظ أن العروض والضرب محذوفان ، أي أن تفعيلة /ه//ه/ه في نهاية الشطر الأول (العروض) والشطر الثاني (الضرب) قد تحولت من /ه//ه/ه إلى /ه//ه.

٢ـ الحذذ : حذف الوتد المجموع //ه من آخر الجزء ، وفيه تتحول ///ه//ه إلى ///ه ، متفاعلن تحولت إلى متفا ///ه ، والحذذ يدخل بحر الكامل فقط ، مثل :

ولأنت أشجع من أسامة إذ

دعيت نزالِ ولجّ في الذعر

////٥ - ////٥//٥ - ////٥

////٥ - ////٥//٥ - /٥/٥

متفاعلن - متفاعلن - فعلن

متفاعلن - متفاعلن - فعْلن

العروض في البيت حذاء ///٥//٥ تحولت إلى ///٥ ، أما الضرب ، التفعيلة الأخيرة من البيت فقد حدث لها (حذذ) أي أصبحت ///٥ ثم إضمار فتحولت إلى /٥/٥ ، أي سكن الثاني ، بعد أن كان متحركا في ///٥ ، وهو نوع من الحذف كما سيأتي.

ويلاحظ أن المذكر من (الحذذ) هو أخذ ، أما المؤنث منه فهو حذاء ، أفعل فعلاء.

٣- الصلم : حذف الوتد المفروق من آخر التفعيلة ، ويأتي من /٥/٥/٥/ للتحول إلى /٥/٥ ، مفعولاتْ ← مفعو أو (فعْلن) وتدخل بحر السريع فقط ، مثال :

قالت ولم تقصد لقيل الخفا

مهلا ، لقد أبلغت أسماعي

/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥ - /٥//٥

/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥ - /٥/٥

مستفعلن - مستفعلن - فاعلن

مستفعلن - مستفعلن - فعْلن

٤- القطع : حذف آخر الوتد المجموع مع إسكان ما قبله ، ويأتي في تفعيلتي فاعلن /٥//٥ ← فاعل /٥/٥ ، ومتفاعلن ///٥//٥ ← متفاعل ///٥/٥ أو بعبارة

أخرى حذف المتحرك الثاني من الوتد المجموع ///ه//ه ← ///ه/ه ، /ه//ه ← /ه/ه ، وفي مستفعلن /ه/ه//ه ← /ه/ه/ه مفعولن.

وتدخل علة القطع إلى بحور البسيط والكامل والرجز ، وهذا مثال من الرجز :

القلب منها مستريح سالم

والقلب مني جاهد مجهود

/ه/ه//ه - /ه/ه//ه - /ه/ه//ه

/ه/ه//ه - /ه/ه//ه - /ه/ه/ه

مستفعلن - مستفعلن - مستفعلن

مستفعلن - مستفعلن - مفعولنْ

ويلاحظ أن القطع حدث للضرب ، وليس للعروض ، فالضرب /ه/ه//ه تحول إلى /ه/ه/ه ، مستفعلن ← مفعولن.

ه- القصر : تسكين الخامس المتحرك من السبب الخفيف ، ويأتي في فعولن وفاعلاتن ، الأولى تصبح فعولْ ، والثانية فاعلاتْ ، أي :

- //ه/ه ← //هه.
- /ه//ه/ه ← /ه//هه

وهنا التقى ساكنان ، كما رأينا في علل التذييل والتسبيغ ، حركة طويلة فسكون.

على أي حال فإن القصر يأتي على العروض والضرب في بحور المديد والرمل والخفيف والمتقارب ، وهذا مثال من الأخير.

ويأوى إلى نسوة بائسات

وشعثٍ مراضيعَ مثل السعالْ

//٥/٥ - //٥/٥ - //٥/٥ - //٥/٥

//٥/٥ - //٥/٥ - //٥/٥ - //٥٥

فعولن فعولن فعولن فعولن

فعولن فعولن فعولن فعولْ

٦- **القطف** : تسكين الخامس ، مع حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة ، كما في مفاعلتن //٥///٥ التي تصبح //٥/٥ فعولن ، أو بمعنى آخر حذف المتحركين ، الرابع والخامس ، مرة أخرى :

//٥///٥ ← //٥/٥

مفاعلتن ← فعولن

٧- **البتر** : وفيه ثلاثة نقوص :

- حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة.
- حذف آخر الوتد المجموع.
- إسكان ما قبله.

في تفعيلتي فعولن وفاعلاتن ، في الأولى //٥/٥ ← //٥ لقد حذف السبب /٥ من آخر التفعيلة ، ثم حذف الأخير من باقي التفعيلة ، أي //٥ قد تحولت إلى // فقط ، ثم وفي النهاية سكن المتحرك الثاني في // لتصبح /٥ ، وعليه ففي النهاية تحولت //٥/٥ فعولن إلى /٥ فعْ فقط ، إنه البتر الحقيقي.

وفي فاعلاتن /ه//ه/ه يحذف السبب الخفيف الأخير من التفعيلة لتصبح /ه//ه ، ثم يحذف الساكن الأخير ، ويسكن ما قبله ، أي بمعنى آخر تحولت //ه/ه إلى /ه/ه ، فحذف أحد المتحركين من الوتد ، المجموع //ه من أول التفعيلة.

على أي الأحوال فإن البتر يدخل المديد والمتقارب :

إنما الذلفاء ياقوتة	أخرجت من كيس دهقان
فاعلاتن فاعلن فاعلن	فاعلاتن فاعلن فعْلن
/ه//ه/ه - /ه//ه - /ه//ه	/ه//ه/ه - /ه//ه - /ه/ه

إذ الملاحظ في هذا البحر المديد أنه حدث لضربه بتر، فتحول هذا الضرب من /ه//ه/ه إلى /ه/ه فعلن.

٨- الوقف : إسكان السابع المتحرك من آخر التفعيلة /ه/ه/ه/ إلى /ه/ه/ه ه ، هذا الوقف يدخل السريع والمنسرح ، ففي /ه/ه/ه/ مفعولات يسكن المتحرك الساكن لتصبح /ه/ه/ه ه مفعولانْ ليلتقي ساكنان هنا ، وهي الحركة الطويلة ، التي تأتي قبل سكون الصامت الصحيح ، ويدخل هذا إلى السريع والمنسرح :

أزمان سلمى لا يرى مثلها الرا

عون في شام ولا في عراقْ

هذا البيت من بحر السريع ، ثلاث تفعيلات :

مستفعلن مستفعلن فاعلن ... ...

والوقف قد أتى في الضرب ، أي سكن الأخير فالتقت الحركة والطويلة بالصامت الساكن الصحيح وهو ما يناسب الوقف في العربية الذي يكون بالسكون أو

الحركة الطويلة ، كما في نثر العربية ، وفي الشعر سوف يكون لنا مع الوقف وقفة نجلي جوانبه ، ونوضح غوامضه.

على أي حال ففي البيت :

أزمان سلمى لا يرى مثلها الرا

عون في شام ولا في عراق

وقف للضرب ، أي التفعيلة الأخيرة من البيت لينتهي البيت بسكون الوقف ، لاحظ :

/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥ - /٥//٥

/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥ - /٥//٥٥

مستفعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن مستفعلن فاعلانْ

٩ـ الكسف : حذف السابع المتحرك ، كما في تفعيلة مفعولات /٥/٥/٥/ لتصبح /٥/٥/٥ ، والكسف يدخل السريع والمنسرح ، كما في :

النشر مسك والوجوه دنا	نير وأطراف الأكف عنم
/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥ - ///٥	/٥/٥//٥ - /٥/٥//٥ - ///٥

العروض والضرب كلاهما ///٥ ، حدث لهما سلسلة من الحذوفات ، هما في الأصل مفعولات حذف السابع المتحرك فأصبحت /٥/٥/٥/ ← /٥/٥/٥ ، ثم حذف الثاني والرابع فيما يسمى (الخبل) لتصبح في النهاية ///٥ ، وهذه نهاية التفعيلة التي كانت /٥/٥/٥/ آلت في نهاية صورتها ///٥ فعلن ، فقط فقط.

والآن آن أن نعلق على علل النقص لنقول لقارئنا :

١ـ علل النقص ثلاثة أضعاف علل الزيادة ٣/٩ نذكر دوما ودوما أن أخص خصائص لغة الشعر الاختصار والإيجاز ، وعلل النقص نوع ذاك الاختصار وذياك الإيجاز.

٢ـ لقد اعتبر العروضيون أن السكون أو الإسكان نوع من علل النقص ، إذ هو نقص للحركة أو حذف لها ، ما يدل على وعي العروضيين بحقيقة السكون ، بعيدا عن الخلط المرفوض بين الحركة الطويلة وبين سكون الصامت الصحيح.

ففي الوقف (إسكان السابع المتحرك) تم حذف الحركة القصيرة ، وهو إنقاص من التفعيلة ، أو حذف عنصر صوتي هو الحركة.

والبتر كذلك حين تتحول /٥//٥/٥ إلى ///٥ ، ثم يسكن الثاني هنا ، لتصبح /٥/٥ وهنا فقدت التفعيلة عنصرا صوتيا هو الحركة القصيرة ، لاحظ الفرق بين ///٥ فعلن بكسر العين ، و /٥/٥ فعلن بسكون العين ، ويتضح هذا من كتابتهما صوتيا :

- fa٤ilun ٥///
- fa٤lum ٥/٥/

لقد فقدت التفعيلة الحركة القصيرة بُعَيد العين ، وهذا نوع من النقص أو الحذف.

وكذا الشان في القطف ، وفيه تسكين الخامس من التفعيلة ، أي حذف الحركة القصيرة ، كما في القصر والقطع ... الخ كل نوع من الحذف بالتخلص من الحركة القصيرة.

٣- يترتب على الإسكان نهاية التفعيلة توالي ساكنين ، أو بتعبير أدق توالي حركة طويلة وساكن صحيح ، فيتكون المقطع الطويل المغلق :

ص ح ح ص

وهذا أنسب لموسيقى البيت وقافيته وللوقف نهاية البيت ، تذكر ما ذكرنا من مثال القصر ، حيث انتهى البيت بكلمة (السعالْ) بسكون اللام.

وكذا في علل الزيادة كما في التذييل والتسبيغ التقى ساكنان بسبب الزيادة ، وفي علل النقص التقى الساكنان بسبب هذا النقص لينتهي البيت بساكن قبله حركة طويلة ، هذا أنسب للوقف ولموسيقى القافية.

٤- وفي علل النقص يحذف عنصر أو أكثر ، كيف :

أ - الإسكان : حذف عنصر واحد ، هو الحركة القصيرة.

ب- وقد يحذف أكثر من عنصر ، مقطع أو أكثر :

- في الحذف : يحذف سبب خفيف من آخر التفعيلة ، أي /٥، هنا قد يكون هذا السبب الخفيف مقطعا مفتوحا ص ح ح ، صامت + حركة طويلة ، مثل (ما - لا) أو مقطع مغلق ، قصيرة الحركة (من - لن - عم).

- في الحذذ : حذف الوتد المجموع من آخر التفعيلة أي //٥، مثل (لنا - علىْ - هنا) وهذان مقطعان (ص ح + ص ح ح) أو (ص ح + ص ح ص).

- حذف الوتد المفروق/٥/ : مثل (كان) ص ح ح ص ح ، أو (أنتَ) ص ح ص + ص ح ، وهنا اختلف النسيج المقطعي في المثالين :

- المثـال الأول = مقطـع مفتـوح طويـل الحركـة + مقطـع مفتـوح قصير الحركة.
- المثـال الثـاني : مقطـع قصير الحركـة مغلـق + مقطـع قصير الحركـة مفتوح.

خلصنا إذن إلى أن علل النقص تراوح في الحذف ما بين عنصر واحد هو الحركة القصيرة إلى أكثر من عنصر ، أي إلى مقطع كامل أو أكثر.

٥- وفي علل الزيادة تتراوح أيضا بين زيادة عنصر واحد أو أكثر ، زيادة صامت ساكن ، كما في التسبيغ /٥//٥/٥ ← /٥//٥/٥٥ ، وفي التذييل ساكن أيضا نهاية التفعيلة /٥/٥//٥ ← /٥/٥//٥٥ مستفعلن ← مستفعلانْ. وحدة الترفيل الذي يزيد أكثر من عنصر صوتي ، مقطع كامل ، أو مقطع واحد ، هو السبب الخفيف /٥ متحرك فساكن ، أي مقطع مفتوح ص ح ح مثل (لا ـ ما) أو قصير الحركة مغلق ، مثل (كنْ) kun.

والآن نرى أن الزحافات تحتاج وحدها إلى مادة كاملة في دستور عربية بني يعرب ، بعد أن طالت بنا هذي المادة حتى اضطررنا إلى استراحة في فاصل بعده نواصل ، كما نسمع في الفضائيات.

والآن إلى الفقرة التالية ، أقصد إلى المادة التالية.

المادة السادسة والستون
{٦٦}

إذا كانت العلة تتوزع بين زيادة ـ وإن كانت أقل ـ وبين نقصان ، وإن كان أكثر فإن الزحافات هو نوع نقص فقط ، ليس إلا.

الزحاف بكسر الزاي الإعياء والضعف ، الزحاف بوزن كتاب ، وفي الشعر أن يسقط حرف بين الحرفين ، فيزحف أحدهما إلى الآخر ، والشعر مزاحف ، بفتح الحاء.

واصطلاحا :

- تغيير مختص بثواني الأسباب ، أي بالجزء الثاني من الأسباب ، خفيفة /ه ، أو ثقيلة مكونة من متحركين هكذا // فالتغيير كما أسلفنا جاء في الساكن ، أو في الجزء الثاني من السبب الخفيف /ه أو الجزء الثاني من السبب الثقيل//.
- التغيير في الزحاف لا يلزم ، أي لا يستمر ، على العكس من العلل التي تلزم وتستمر في القصيدة كلها.
- محل الزحاف حشو البيت ، ليس العروض والضرب ، كما في العلل ، وإن كان دخل العروض والضرب سماعا في بعض البحور.

الزحافات إذن تغير محدود ، حذف للساكن أو المتحرك ، ما ينتج عنه زحف حرف على آخر ، أو إعادة نسج المقاطع مرة أخرى.

على عكس العلل التي تتعدى حذف متحرك أو ساكن أو الجزء الثاني من السبب ، خفيفا أو ثقيلا ، حيث وجدنا العلل فيها زيادة وإن كانت الأقل ، وفي الحذوفات تتجاوز العنصر الواحد إلى عدة عناصر من التفعيلة ، في قمة هذا الحذف البتر :

- حذف السبب كاملا ، خفيفا /ه ، أو ثقيلا //.
- حذف أخر الوتد المجموع //ه ، وهو السكون ، ليصبح //.
- ثم إسكان المتحرك الثاني ليصبح /ه.

ثلاث خطوات ، أو ثلاث حذوفات ، ففي تفعيلة فاعلاتن /ه//ه/ه ← /ه//ه ثم تتحول /ه//ه إلى /ه/ه ، وهكذا تحولت /ه//ه/ه ← /ه/ه.

ففي الزحافات حذف لساكن أو لمتحرك ، أو تسكين لمتحرك ، وهو نوع من الحذف أو النقص ، كما أسلفنا.

وهذي هي الزحافات ، وهي أنواع ، زحاف مفرد ، يحدث مرة واحدة في التفعيلة ، وزحاف مزدوج ، يحدث مرتين في التفعيلة الواحدة ، وأخيرا علل جارية مجرى الزحاف في عدم اللزوم ، ثم زحاف جاري / جارٍ مجرى العلة.

<u>أولا - الزحاف المفرد</u> : ثمانية من هذا النوع ، هي :

١- <u>الخبن</u> : حذف الساكن الثاني من التفعيلة كما نجد في تفاعيل : (فاعلن - مستفعلن - مفعولاتُ) لتصبح : فعلن - متفعلن - فعولاتُ ، لاحظ :

- /ه//ه ← ///ه فعلن

- /ه/ه//ه ← //ه//ه متفعلن.
- /ه/ه/ه/ ← //ه/ه/ فعولاتُ.

وهذا الزحاف (الخبن) يدخل عشرة بحور ، هي : (المديد ـ المقتضب ـ البسيط ـ الرجز ـ الرمل ـ السريع ـ المنسرح ـ الخفيف ـ المجتث ـ المتدارك).

كما في مثل :

كرة ضربت بصوالجة	فتلقفها رجلٌ رجلٌ
///ه///ه///ه///ه	///ه///ه///ه///ه
فعلن فعلن فعلن فعلن	فعلن فعلن فعلن فعلن

لقد حدث خبن لتفعيلة البيت المتكررة ، حذف الثاني الساكن من /ه//ه لتصبح ///ه.

٢- الإضمار : إسكان المتحرك الثاني ، حيث نجد ///ه//ه تصبح /ه/ه//ه مستفعلن ، ويدخل بحر الكامل فقط ، هذا قول عنترة :

إني امرؤ من خير عبس منصبا

شطري ، وأحمي سائري بالمنصل

/ه/ه//ه ـ /ه/ه//ه ـ /ه/ه//ه

/ه/ه//ه ـ /ه/ه//ه ـ /ه/ه//ه

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

لقد تحولت ///ه//ه إلى /ه/ه//ه ، حيث سكن الثاني المتحرك ، بعد أن كان متحركا.

٣- الوقص : حذف الثاني المتحرك ، كما في متفاعلن التي تصبح //ه//ه ، إذن الوقص : ///ه//ه ← //ه//ه ، ويدخل بحر الكامل :

يذب عن حريمه بسيفه

ورمحه ونبله ويحتمي

//ه//ه - //ه//ه - //ه//ه

//ه//ه - //ه//ه - //ه//ه

لقد حذف الثاني المتحرك من التفعيلة ///ه//ه لتصبح //ه//ه ، هذي صورة الوقص.

٤- الطي : حذف الرابع ، الساكن ، حذف للسكون الرابع كما في تفعيلة /ه/ه//ه التي تصبح /ه///ه ، مستفعلن ← مفتعلن ، هذي الزحاف يدخل البسيط والرجز والسريع والمنسرح والمقتضب كما في :

إن سميرا أرى عشيرته	قد جدبوا دونه وقد أنفوا
/ه///ه - /ه/ه/ - /ه///ه	/ه///ه - /ه/ه/ - /ه///ه

هذا من بحر المنسرح ، وتفاعيله :

مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن - ... ...

ولكن البيت الذي معنا حدث في تفعيلة /ه/ه//ه طي ، فتحولت إلى /ه///ه حيث حذف الرابع الساكن فتوالى ثلاثة متحركات ، كما ترى.

٥- القبض : حذف الساكن الخامس ، كما في //٥/٥/٥ التي تتحول إلى فعولُ ، ويدخل بحور الطويل والهزج والمضارع والمتقارب ، كما في :

فقلت : لا تخف شيئا   فما عليك من باس

//٥//٥ - //٥/٥/٥   //٥//٥ - //٥/٥/٥

هذا بحر الهزج ، وقد تحولت مفاعيلن إلى مفاعلن ، لاحظ :

//٥/٥/٥ ← //٥//٥

لقد حذف الخامس الساكن - كما ترى - هذا هو القبض.

٦- العقل : حذف الخامس المتحرك ، وليس الساكن الذي رأيناه في القبض ، فحذف الخامس المتحرك كما في مفاعلتن //٥///٥ التي تصبح //٥//٥ بعد حذف الخامس المتحرك ، هذا هو العقل ، وهو يدخل بحر الوافر فقط :

منازل لفرْتني قفار   كأنما رسومها [1] سطور

//٥//٥ - //٥//٥ - //٥/٥

//٥//٥ - //٥//٥ - //٥/٥

مفاعلن مفاعلن فعولن

مفاعلن مفاعلن فعولن

وهي في الأساس والأصل //٥///٥ قد تحولت إلى //٥//٥ ، هذا هو العقل.

(1) قرأت البيت في لسان العرب ، مادة (ع ق ل) وتاج العروس ، ومنه ضبطه (فرتني) المرأة الفاجرة ، لِفَرْتَنى ، قاله في القاموس المحيط ، مادة (ف ر ت) وقرأت في لسان العرب : (وفَرْتَنا : المرأة الفاجرة). ذهب ابن جني أن نونه زائدة ، وحكى فَرَت الرجل يفرت فرتا ، إذا فجر ، وأما سيبويه فجعله رباعيا ، والفِرْت لغة في الفتر عن ابن جني كأنه مقلوب عنه) مادة (ف ر ت).

٧ـ العصب : إسكان المتحرك الخامس ، ففي //٥///٥ تتحول إلى //٥/٥/٥ ، ويدخل الوافر فقط ، لاحظ :

//٥///٥ ← //٥/٥/٥

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

//٥/٥/٥ ـ //٥/٥/٥ ـ //٥/٥

//٥/٥/٥ ـ //٥/٥/٥ ـ //٥/٥

لاحظ أن //٥///٥ تحولت في حشو البيت إلى //٥/٥/٥ ، أما العروض والضرب فقد كانت //٥/٥ ، وهما لهما تغييرات وتغيرات لها أسماء مختلفة ، سواء بالنقص وهي كثيرة ، أو بالزيادة وهي قليلة ، ولذا فإنا تذكر مرة أخرى إلى أن الزحافات مختصة مستمسكة بحشو البيت ، دون العروض والضرب.

٨ـ الكف : آخر الزحافات المفردة ، وهو حذف للساكن السابع /٥//٥/٥ ← /٥//٥/ ، لاحظ فاعلاتن ← فاعلاتُ ، ويدخل سبعة بحور (المديد ـ الهزج ـ الطويل ـ الرمل ـ الخفيف ـ المضارع ـ المجتث) وهذا مثال :

ما كان عطاؤهن إلا عدة ضمارا

/٥/٥// ـ /٥//٥/ /٥/٥// ـ /٥//٥/٥

مستفع لُ ـ فاعلاتُ مستفع لُ ـ فاعلاتن

هذا مثال من بحر المجتث ، تحدولت فيه /٥/٥//٥ إلى /٥/٥// ، وذلك في التفعيلة الأولى من كل شطر ، إذ حذف الساكن السابع في تفعيلة /٥/٥//٥ لتصبح /٥/٥// ، كما رأينا.

سلف منا الزحافات المفردة ، الحذف في حرف واحد فرد مفرد ، نتلوها بالزحافات المثناة ، والتي يتجاوز الحذف فيها إلى عنصرين ، أو حرفين ، أو حذف للحركة (تسكين) إذا اعتبر العرضيون الإسكان ضمن الزحافات ، وهو حذف وإنقاص من عناصر اللفظة.

<u>ثانيا - الزحاف المزدوج</u> : حين يحذف عنصران ، وهو ما نجده في :

١- <u>الخبل</u> : وهو حذف الثاني والرابع الساكنين ، /٥/٥//٥ ← ////٥ فعلن ، فاصلة كبرى كما ترون ، ويدخل الخبل بحور : (البسيط - الرجز - السريع - المنسرح) كما في :

وبلد متشابه سمته	قطعه رجل على جَمَلِهْ
////٥ - ///٥/ - /٥/٥//٥	////٥ - ///٥/ - /٥///٥
فعلن فعلاتُ مستفعلن	فعلن فعلاتُ مفتعلن

عندنا تفعيلتان في حشو البيت ، هما /٥/٥//٥ حذف الساكنان منهما ، فتحولتا إلى ////٥.

٢- <u>الخزل</u> : إسكان الثاني وحذف الرابع ، يدخل البحر الكامل فقط ، في متفاعلن ///٥//٥ يسكن الثاني ، ويحذف الرابع وهو ساكن لتصبح /٥///٥ مفتعلن ، ويدخل بحر الكامل فقط :

منزلة صم صداها وعفت	أرسمها ، إن سئلت لم تجب
/٥///٥ - /٥///٥ - /٥///٥	/٥///٥ - /٥///٥ - /٥///٥
مفتعلن مفتعلن مفتعلن	مفتعلن مفتعلن مفتعلن

٣- الشكل : حذف الثاني والسابع الساكنين ، كما في :

/٥/٥//٥ ← //٥//

مستفع لن ← مفاع ل ، بتحريك اللام ، ويدخل المديد والرمل والخفيف والمجتث ، كما في :

أولئك خير قوم إذا ذكر الخيار

//٥// - /٥//٥/٥ //٥// - /٥//٥/٥

نحن في بحر المجتث ، في حشو البيت تحولت تفعيلة مستفع لن /٥/٥//٥ ← //٥// مفاع لُ ، وهكذا ؟

٤- النقص : حذف السابع الساكن ، وإسكان الخامس المتحرك ومحله تفعيلة مفاعلتن فقط ، التي تصبح مفاعيلُ بتحريك اللام //٥///٥ ← //٥/٥/ ، ويدخل النقص الوافر فقط ، كما في :

لسَلّامة دار بحفير كباقي الخلق السحق قفارُ

//٥/٥/ - //٥/٥/٥ - //٥/٥

//٥/٥/ - //٥/٥/ - //٥/٥

مفاعيل مفاعيل فعولن

مفاعيل مفاعيل فعولن

لقد تحولت //٥///٥ إلى //٥/٥/ ، مفاعلتن أصبحت مفاعيل.

خلاصة القول أن الزحافات المزدوجة ، هي زحافات أو تغيرات ، إنقاصات في موضعين من التفعيلة ، كل موضع له مسمى من الزحاف المفرد ، على هذا الشكل :

١- النقص = كف (حذف السابع السكن) + عصب (إسكان الخامس المتحرك.

٢- الشكل = الكف (حذف السابع الساكن) + الخبن (حذف الثاني الساكن).

٣- الخزل = الطي (حذف الرابع) + الإضمار (إسكان الثاني).

٤- الخبل = الطي (حذف الرابع) + الخبن (حذف الثاني).

هذي خلاصة الزحافات المزدوجة ، والآن إلى النقيطة التالية :

ثالثا - الزحاف الجاري مجرى العلة : في اللزوم ، مثل القبض في عروض البحر الطويل مفاعيلن ← مفاعلن ، فإنه لازم فيها ، وكذا الخبن في العروض الأولى لبحر البسيط /٥//٥ ← ///٥ فاعلن تصبح فعلن بتحريك العين.

رابعا - علل تجري مجرى الزحافات : في عدم اللزوم ، يقول الدكتور عبد العزيز [1] عتيق : (وقد تطرأ تغييرات على بعض مقاطع التفعيلة في الحشو ، لكن هذي التغييرات في ثواني الأسباب - كما تقدم في الزحافات - وإنما تحدث في الأوتاد ، ومن أجل هذا لم يدخلها العروضيون في الزحاف ، إنما اعتبروها من أنواع العلة ، ولكما كانت هذي التغييرات غير لازمة ، فقد جعلوها جارية مجرى الزحافات).

هذي العلل الجارية مجرى الزحاف ، هي :

١- التشعيث : حذف أول الوتد المجموع//٥ ، وهو نجده في :

أ- فاعلاتن : /٥//٥/٥ التي تصبح بالتشعيث /٥/٥/٥ فالاتن ، أو مفعولن ، وهذا ما نجد في المجتث والخفيف :

إن قومي جحاجحة كرام	متقادم مجدهم أخيار
/٥//٥/٥ - //٥// - /٥//٥/٥	///٥/ - /٥/٥//٥ - /٥/٥/٥/٥
فاعلاتن مفاعل فاعلاتن	فعلات مستفع لن مفعولن

---

(1) علم العروض والقافية ، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص١٥٠.

رأينا الضرب - التفعيلة الأخيرة في البيت - تتحول من /ه//ه/ه ـــ إلى ← /ه/ه/ه مفعولن ، بعد أن كانت في الأصل فاعلاتن ، هذا التشعيث الذي يأتي كثيرا في الضرب ، ويقل أن يحدث في (فاعلاتن) حين حشو البيت وعروضه ، التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول من البيت.

ب- فاعلن : /ه//ه كما يأتي التشعيث أيضا في تيك التفعيلة /ه//ه التي تصبح فعلن بسكون العين ، أي (فعْلن) ، وهذا خاص بالمتدارك : قال أحمد شوقي أمير الشعراء :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحم عوده

/ه/ه - ///ه - /ه/ه - ///ه

///ه - ///ه - ///ه - ///ه

فعْلن - فعلن - فعْلن - فعلن

فعلن - فعلن - فعلن - فعلن

التفعيلة الأولى والثالثة مشعثتان ، فالعين في (فعْلن) ساكنة ، لكن باقي التفاعيل الأخرى مخبونة حذفت ألفها في (فاعلن) فأصبحت فعلن بتحريك العين ، ليس بتسكينها كما في التشعيث /ه/ه ، ليس ///ه.

٢- الحذف : إسقاط السبب الخفيف من التفعيلة ، ويأتي هذا في العروض الأولى من المتقارب فعولن ← فعُو ، أي : //ه/ه ← //ه.

المتقارب وزنه في الأصل :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

يجوز في عروضه أن تصبح فعو //٥ ، فتتناوب مع فعولن في بعض الأبيات ، ولا تلزم إحداهما في العروض ، وعلى هذا يحتمل أن يجيء أحد الأبيات هكذا :

فعولن فعولن فعولن فعو   فعولن فعولن فعولن فعولن

مع احتمال أن تجيء الأبيات الأخرى بعروض تامة على وزن فعولن //٥/٥.

وأروي من الشعر شعرا عويصا

ينسى الرواة الذي قد رووا

//٥/٥ ـ //٥/٥ ـ //٥/٥ ـ //٥/٥

//٥/٥ ـ //٥/٥ ـ //٥/٥ ـ //٥

فعولن فعولن فعولن فعولن

فعولن فعولن فعولن فعولن

٣ـ <u>الخرم والخزم</u> : بالراء نقص ، وبالزاي زيادة ، زيادة ما دون خمسة أحرف في أول البيت غالبا ، وقد يكون في أول الشطر الثاني لكن بحرف أو حرفين ، لا غير ، وإن عُدّ هذا ـ عند العروضيون ـ شذوذا.

<u>فمن زيادة الحرف :</u>

وكأن ثبيرا في عرانين وبله   كبير إناس في بجاد مزمّل

وقد تزيد الزيادة إلى أربعة أحرف كقول الإمام عليّ (عليه السلام) :

اشدد حيازيمك للموت   فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت   إذا حل بواديكا

أما الخرم - بالراء المهملة - فأصله في اللغة ذهاب بعض الشيء ، كخرم الأنف واصطلاحا حذف أول الوتد المجموع في أول البيت ، ويكون في التفاعيل : (فعولن - مفاعيلن - مفاعلتن) فيدخل صدر الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب.

والخرم بحسب موقعه وما يكون معه من تغييرات أخرى :

١- الثلم : فعولن ← عولن ، //٥/٥ ← /٥/٥ حذف أول الوتد المجموع //٥ ليصبح /٥ ، وشاهده :

شاقتك أحداج سليمي بعاقل

فعيناك للبين تجودان بالدمع

التفعيلة الأولى /٥/٥ ، وليس //٥/٥ ، في شاقتك ، مع أخذ الكاف إلى التفعيلة التي تليها.

٢- الثرم : خرم فعولن مع القبض = //٥/٥ ← /٥/ (عولُ) = (فعْل) بسكون العين ، ويسمى أثرم لحذف أول //٥/٥ وآخره ، الأول المتحرك ، والأخير الساكن.

على أي حال دون الدخول في تفاصيل الخرم أنها تدخل التفاعيل التي تبدأ بمتحركين ، إذا الخرم حذف المتحرك الأول ليبقى المتحرك الثاني الذي يبدأ به ؛ وهو ما يحدث في تفعيلتي : (مفاعلتن - مفاعيلن [1]).

وعليه فإن الخرم لا يدخل أول السبب الخفيف /٥ ، ولا الوتد المفروق/٥/ إذ بسقوط المتحرك من /٥ أو /٥/ يترتب عليه البدء بالساكن صامتا كان ، أو حتى

(1) راجع تفاصيل الخرم في (دراسات في علم العروض والقافية) لأحمد الشيخ ، ص٤١ وقبلها.

حركة طويلة ، إذ المقطع العربي ، وكذا الكلمة العربية لا يبدآن بحركة طويلة ولا قصيرة وكذا الصامت الساكن.

ونضيف هنا أن الشعر لا يبدأ أيضا إلا بصامت متحرك ، مثله في هذا مثل الكلمة والمقطع :

وإذا كان البيت هو وحدة الجملة في الشعر فإن هذي الجملة ـ كما في النثر ـ لا تبدأ بساكن ولا بحركة قصيرة أو طويلة.

ونضيف هنا ما نص عليه العروضيون من أن التفاعيل لا تبدأ بالساكن أو الحركة ، بل بالصامت المتحرك ، ومن ثم فإن الخرم ، حذف الأول المتحرك لا يكون للسبب /ه ولا للوتد المفروق /ه/ لأنه سيترتب عليه بدء بساكن ، غير متحرك ، وهو أمر محظور في العربية في :

- المقطع.
- الكلمة.
- الجملة.
- التفعيلة في الشعر.

ألم أقل قبل إن العربية نظرها حاد دقيق ، حدها قاطع ، قانونها لا يتخلف أبدا.

فقط أذكر القارئ هنا بمبدأ مهم في عربية بني يعرب ، إن الأسماء ما تنتهي بضمة طويلة أبدا أبدا ، فإن حدث حولت العربية الضمة الطويلة إلى شيء آخر هو الياء اللينة ، ففي جمع (دلو ـ جرو) حسب صرف العرب (أدلو ـ أجرو) ولكن العربية بعبقريتها الواضحة الفاضحة تحولهما إلى (أدلي ـ أجري) كما ينص الصرفيون.

وعندنا عربت (خسرو) بواو مد جعلتها (كسرى) بألف مد في النطق ، مطيحة بواو الكلمة المدية.

ألم أقل - يا قارئ الدستور - أن العربية نظرها حاد حاد وحديد !! حتى في التفعيلات الشعر ما نسيت العربية البدء بالمتحرك ، ولم تقع في محظور البدء بساكن أو بحريكة ، طويلة أو قصيرة.

أما الوقف في الشعر وفي جميع التفاعيل فله حديث آخر في مكانه ، إن شاء الله.

على أي حال نترك الخرم وهو نقص وحذف وإنقاص إلى (الخزم) بالزاي المعجمة ، إنه ليس نقصا ، إنما هذا الخزم زيادة في التفعيلة.

وهنا علينا أن نقول إن جميع العلل والزحافات ، وكذا ما يجرى من العلل مجرى الزحافات ، وما يجري من الزحافات مجرى العلل إنما هي نقوص وحذوف من أول التفعيلة أو من آخرها ، أو الوسط.

استثناء واحد هو عدم حذف أول التفعيلة إن بدأت بمتحرك بعد ساكن ، حتى لا يترتب عليه البدء بالساكن حتى في التفعيلة.

الزيادات رصدناها فقط في :

- علل (الترفيل - التذييل - التسبيغ) كما سبق.
- الخزم بالزاء.

العلل والزحافات المنقصة الحاذفة تأتي في أي مكان في التفعيلة إلا إذا ترتب عليه بد بساكن ، كما رأينا في الخرم لكن الموكد الموكد أن الزيادة في (الخزم -

الترفيل - التذييل - التسبيغ) لا تكون إلا في نهاية التفعيلة فقط ، لاحظ :

- الترفيل : زيادة سبب خفيف /٥ على ما آخره وتد مجموع //٥.
- التذييل : زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع //٥.
- التسبيغ : زيادة حرف ساكن على ما آخره /٥.

وحده (الخزم) الذي يدخل بزيادته أول الشطر الأول أو أول الشطر الثاني ، أو بمعنى آخر ، التفعيلة الأولى من الشطر الأول أو الثاني ، وأحيانا تدخل الزيادة في أول المصراعين ، الأول والثاني ، كما في قول طرفة :

هل تذكرون إذ نقاتلكم   إذ لا يضير معدما عدمهْ

فزاد (هل) في صدر البيت ، وزاد (إذ) في أول عجز البيت ، كما نرى.

باقي الحالات كلها نقوص وهو ما يؤدي إلى الاختصار والاختزال في التفعيلات ، وهذي أخص خصائص الشعر.

كما أنها من ناحية أخرى تنويعات واختيارات فاسحة المجال لكسر الصرامة الشديدة والالتزام المفروض في العروض العربي.

نعود مرة أخرى إلى قضية البدء بالساكن (الصامت) أو الحركة طويلة أو قصيرة ، وإن كانت هذي النقيطة قمينة بمادة مستقلة ، لكن نستأذن القارئ في أن نلحق تيك النقيطة مع المادة الحالية ، السادسة والستين :

ليرجع - قارئي - أطال الله عمره - إلى التفاعيل العروضية ، وهن ثمان :

١- /٥//٥ فاعلن.

٢- //٥/٥ فعولن.

٣- //ه/ه/ه مفاعيلن.

٤- /ه/ه//ه مستفعلن.

٥- //ه///ه مفاعلتن.

٦- ///ه//ه متفاعلين.

٧- /ه//ه/ه فاعلاتن.

٨- /ه/ه/ه/ مفعولاتُ

ونجد في تيك التفاعيل ما يلي من ملاحظ :

أولا - كل التفاعيل ينتهي بالسكون ، أو بسكون الوقف في كل التفعيلات عدا واحدة ، هي مفعولات التي تنتهي بصامت متحرك ، ليس بسكون.

ثانيا : جميع التفعيلات لا تبدأ بسكون مطلقا مطلقا ، بل بمتحرك ، أو متحركين ، وأحيانا ثلاثة متحركات كما في ///ه//ه.

وفي التفاعيل التي تبدأ بمتحرك واحد حظرت العربية حذف هذا المتحرك - فيما يسمى بالخرم - لأنه سيترتب على هذا بدء بساكن ، وهو في العربية محظور محظور حتى في تفاعيل العروض التي تزن شعر عرب بني يعرب.

وهكذا تصر العربية على خط تسير عليه لا تفارقه ، نظرها حاد وحديد ، إنها لم تنس البدء بالمتحرك والوقف على الساكن حتى في تفعيلات العروض ، في كل مرة تؤكد العربية خطها وتحترم دستورها.

ليس هذا فقط ، لكن عربية بني يعرب لا تنسى خطها حتى في المقاطع العروضية ، أو مقاطع التفعيلة وأجزائها ، فهذه المقاطع ستة ، على النحو التالي :

١- /ه السبب الخفيف.

٢- // السبب الثقيل.

٣- /ه/ الوتد المفروق.

٤- //ه الوتد المجموع.

٥- ///ه الفاصلة الصغرى.

٦- ////ه الفاصلة الكبرى.

كل هذي المقاطع ما بدأت إلا بمتحرك أو أكثر ، حتى أربعة متحركات ، كما ترى.

فضلا عن أن كل تلكم المقاطع انتهت بسكون ، كأنه سكون الوقف ، اللهم إلا مقطعين فقط ، هما :

- السبب الثقيل //.
- الوتد المفروق /ه/.

وكأن المقاطع والتفاعيل تذكر القارئ دوما بالوقف على السكون ، وكأن الوقف على السكون ، أو السكون عند الوقف من أظهر سمات العربية والتي ما تنسى مادة من مواد لغتنا ، أو أسا أساسا من أسس عربيتنا.

وهناك ملمح آخر وملحظ نشي به إلى القارئ ، ألا وهو الدقة الشديد في تقسيم هذي المقاطع العروضية ، والتي ربما كانت أساسا ومنطلقا لفكرة المقاطع الصوتية ، وهي في العربية ستة ، ثنتان مفتوحان (ص ح - ص ح ح) وأربعة مغلقة ، اثنان مغلقان بصامت واحد (ص ح ص ، ص ح ح ص) وآخران مغلقان بصامتين ، هما : (ص ح ص ص - ص ح ح ص ص).

لكن ما هو هذا الملمح الملحظ - بضم الميم - إنه وعي علماء العربية بالفرق في كمية العناصر ، وهذا واضح في :

- التفرقة بين الفاصلة الصغرى ///ه ثلاثة متحركات وساكن ، وبين الفاصلة الكبرى ////ه ٤ متحركات وساكن ، وكذا بين السبب (خفيفا أو ثقيلا) وبين الوتد مجموعا أو مفروقا.

وقد وصل الأمر في دقته إلى التفرقة بين السبب الخفيف /ه وبين الثقيل // ، إذ الأخير مكون من ٤ عناصر (ص ح ص ح) مقطعان صوتيان مفتوحان بحركة قصيرة.

في حين نجد السبب الخفيف /ه مكون من عناصر صوتية أقل ، إما عنصران ، كما في (لا = /ه) أو ثلاثة عناصر (من = /ه) مقطع واحد مغلق (ص ح ص) أما في السبب الثقيل - كما سلف - فهو مكون من ٤ عناصر ، قولا واحدا ، لا شية فيه ولا شكوك.

وهكذا اسطاع العروضيون أن يفرقوا بدقة بين الفاصلتين (الصغرى والكبرى) ، وبين السببين (خفيفة وثقيلة).

وبطبيعة الحال فرقوا بين الوتدين (مجموعة //ه) ومفروقه /ه/ ، أما المجموع //ه هو قطعا - قولا واحدا - مقطعان صوتيان في مثل (مثل) بتحريك الميم والثاء وسكون الميم = ص ح + ص ح ص ، المقطع الأول قصير مفتوح والثاني قصير الحركة ، لكنه مغلق ، كما ترى.

أما الوتد المفروق فإنه يأتي بصورتين ، الأول في مثل (عاد) ص ح ح + ص ح ، الأول مفتوح طويل الحركة ، والثاني مفتوح أيضا ، لكنه مفتوح بحركة قصيرة فقط.

أما الصورة الثانية من الوتد المفروق /٥/ ففي مثل (كنتُ) بسكون النون وتحريك التاء ، مقطعان أيضا = ص ح ص + ص ح ، الأول قصيرة الحركة مغلق ، والثاني مفتوح قصير الحركة أيضا.

وهكذا كان العرضيون ولغتنا العربية على وعي تلم بما يفرق بين التفاعيل العروضية :

- بين السبب الخفيف والثقيل.
- بين الوتد المجموع والمفروق.
- بين الفاصلة الصغرى والكبرى.

كما كان العروضيون وعربية بني يعرب على وعي بقضية البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ، وعلى وعي دقيق - كما سبق - بكمية العناصر في المقاطع العروضية أو بالتفاعيل كما سبق.

ونعيد مرة أخرى ونوكد أن المقاطع العروضية ربما كانت أفضت إلى فكرة المقاطع الصوتية ، فقد كان العروض سابقا - زمنيا - على ظهور فكرة المقطع الصوتي.

والآن الآن حان الانتقال إلى المادة التالية من دستور لغيتنا العربية ، أو لغية عرب بني يعرب.

المادة السابعة والستون

{٦٧}

وضع العروضيون للبحور دوائر عروضية ، لكل دائرة منها بحور بعينها ، فكرة طريفة ، كيف ؟

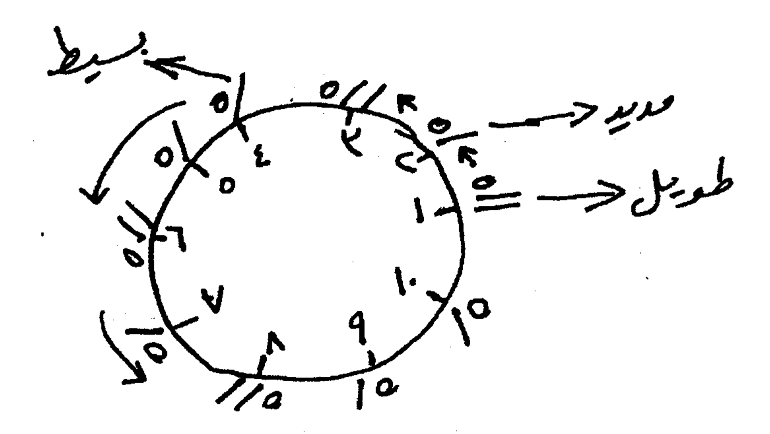
الدائرة العروضية اكتشفها مكتشف العروض ، عبقري العربية الخليل بن أحمد ، حيث وضع خليل العربية كل مجموعة من البحور تتشابه في مقاطعها من الأسباب والأوتاد ، كيف رحمك الله ؟.

١ـ دائرة الطويل : وتسمى بدائرة المختلف ، بحر الطويل مكون من أسباب وأوتاد ، هذا هو الطويل :

//٥/٥ ـ //٥/٥/٥ ـ //٥/٥ ـ //٥/٥/٥

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

لو جئنا بهذي التفاعيل لوجدناها تتكون من أسباب وأوتادا ـ كما نرى هذي الأسباب والأوتاد توضع حول الدائرة هكذا.



هذا هو نفس بحر الطويل ، لكنه يلتف حول الدائرة فإذا بدأنا بوتد مجموع //٥ ثم سبب خفيف /٥ واحد ، لا اثنين ، أي إذا سرنا عكس عقارب الساعة ، أصبح لدينا بحر الطويل.

فإن بدأنا بسبب خفيف واقع بين وتدين مجموعين وسرنا أيضا عكس عقارب الساعة ، كان لدينا بحر المديد :

/٥//٥/٥ - /٥//٥ - /٥//٥/٥

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

أما إذا بدأنا من سببين خفيفين حصلنا على بحر البسيط :

/٥/٥//٥ - /٥//٥ - /٥/٥//٥ - /٥//٥

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

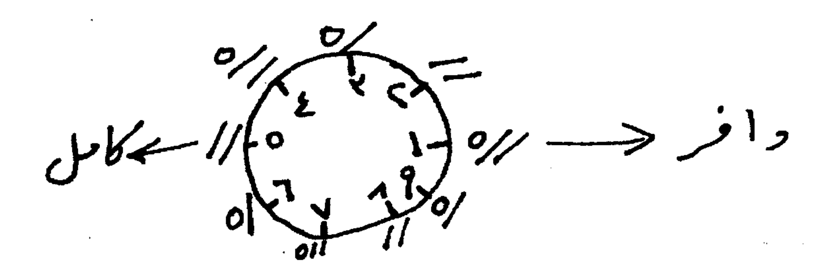
ونقطة البداية في كل بحر مسهمة بسهم إلى جوار اسم البحر ، كما ترى.

٢- <u>دائرة الوافر</u> : وتسمى بدائرة المؤتلف ، هذي الدائرة تتكون من وتد مجموع فسبب ثقيل فسبب خفيف ، أي : //٥ + // + /٥ = //٥///٥ ، مفاعلتن ثلاث مرات :

//٥///٥ - //٥///٥ - //٥///٥

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

شرط أن نبدأ بوتد مجموع ، كما هو عند السهم :



مع ملاحظة أننا حولنا //٥///٥ إلى وتد مجموع //٥ فسبب ثقيل // فسبب خفيف ، ونسير - كما سبق - خلاف - عكس عقارب الساعة - كما رأينا في دائرة الطويل ، وكما يأتي في باقي الدوائر.

رأينا أنا عند البدء من الوتد المجموع حصلنا على بحر الوافر ، فإذا بدأت من السبب الثقيل //الذي يشير إليه السهم كان بحر الكامل ، أو كنا في بحر الكامل :

///٥//٥ - ///٥//٥ - ///٥//٥

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

لاحظ أنا في بحر الوافر الذي سميت به الدائرة لدينا تفعيلة واحدة مكررة ٣ مرات ، هي :

- //٥///٥ مفاعلتن في الوافر.

عكسها ، عكسها تماما تماما :

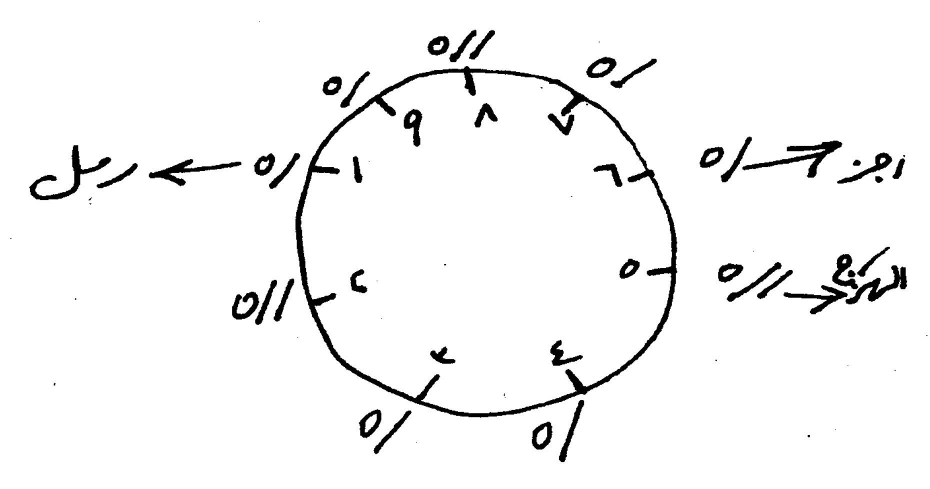
///٥//٥ متفاعلن في بحر الكامل.

٣- <u>دائرة الهزج</u> : أو المجتلب ، هذي الدائرة تتكون من وتد مجموع //٥ ثم سببين خفيفين ، أي :

- مفاعيلن //٥/٥/٥ ثلاث مرات ، فإذا بدأنا من الوتد المجموع - وعلى عكس عقارب الساعة خرج إلينا بحر الهزج :

//٥/٥/٥ - //٥/٥/٥ - //٥/٥/٥

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن



فإذا بدأت - طوّل الله عمرك - بسببين خفيفين /٥ + /٥ حصلت على بحر الرجز :

/ه/ه//ه - /ه/ه//ه - /ه/ه//ه

مستفعلن مستفعن مستفعلن

ثم إن بدأت بسبب خفيف يلوه - يليه - وتد مجموع //ه حصلت على بحر الرمل :

/ه//ه/ه - /ه//ه/ه - /ه//ه/ه

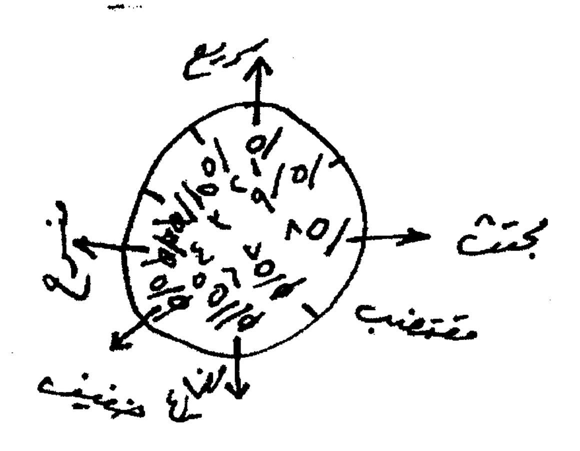
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وفي كلٍ السير عكس عقارب الساعة ، من جوار السهم المشير إلى المقطع العروضي سببا أو وتدا ، كما ترى.

٤- دائرة السريع : وتسمى بدائرة المشتبه ، تيك الدائرة تتكون من سببين خفيفين /ه + /ه ، ثم وتد مجموع //ه يليها مثلهما /ه/ه//ه ، وأخيرا سببان خفيفان /ه/ه ، وأخيرا وتد مفروق /ه/ ، فإن بدأنا بالسببين الخفيفين ، كما ترى السهم كنا في بحر السريع :

/ه/ه//ه - /ه/ه//ه - /ه/ه/ه/

مستفعلن مستفعلن مفعولات



فإن بدأت بسببين خفيفين فوتد مجموع وعلى عكس عقارب الساعة كنت في بحر المنسرح :

/٥/٥//٥ - /٥/٥/٥/ - /٥/٥//٥

مستفعلن مفعولاتُ - مستفعلن

وإذا بدأ طويل العمر بسبب خفيف متبوع بوتد يليهما سببان خفيفان ، هكذا :

/٥//٥/٥ - /٥/٥//٥ - /٥//٥/٥

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

نحن في بحر الخفيف.

وإن بدئ بوتد مجموع //٥ متبوع بسببين خفيفين /٥ + /٥ مع وتد مفروق كنا في بحر المضارع :

//٥/٥/٥ - /٥/٥/٥/٥ - //٥/٥/٥

مفاعيلن - فاع لاتن - مفاعيلن

وإن كانت البداية من سببين خفيفين فوتد مفروق ، كما يشير السهم كنا في بحر المقتضب :

/٥/٥/٥/ - /٥/٥//٥ - /٥/٥//٥

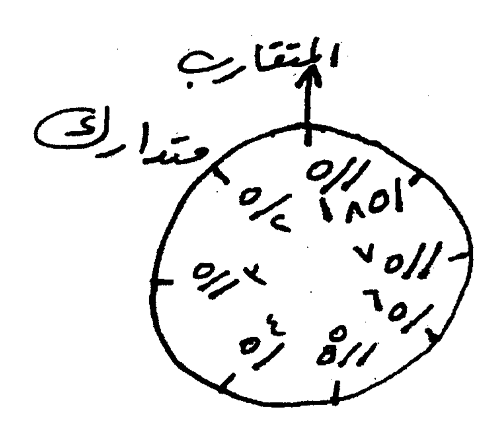
مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن

وأخيرا فإنا إن بدأنا بسبب خفيف فوتد مفروق حصلنا على بحر المجتث ، كما نرى خروج السهم من الدائرة السابقة ، بحر المجتث وزنه :

/٥/٥//٥ - /٥//٥/٥ - /٥//٥/٥

مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن

٥- **دائرة المتقارب** : أو دائرة المتفق التي تتألف من وتد مجموع //٥ فسبب خفيف مكررين ٤ مرات ، هكذا :



هذا الدائرة يتكون منها بحران فقط ، المتقارب والمتدارك ، كيف ؟.

- فإذا بدأت بوتد مجموع فسبب خفيف - وعلى عكس اتجاه الساعة - كنا في بحر المتقارب :

//٥/٥ - //٥/٥ - //٥/٥ - //٥/٥

فعولن فعولن فعولن فعولن

- لكن لو بدأنا بسبب خفيف /٥ فوتد مجموع كنا في بحر المتدارك :

/٥//٥ - /٥//٥ - /٥//٥ - /٥//٥

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

هذي هي دوائر شعر عرب بني يعرب ، أو عروض الشعر ، دوائر خمس تتفرع منها كل البحور ، يتضح فيها ما يلي :

أولا - تقسيم هذي الدوائر إلى أسباب وأوتاد فقط ، سبب خفيف /ه وسبب ثقيل // ووتد مجموع //ه ووتد مفروق فقط /ه/ ، دون الفواصل الصغرى ///ه أو الكبرى ////ه.

والحق مع العروضيين ، إذ الفاصلة الصغرى هي عبارة عن سبب ثقيل يليه سبب خفيف // + /ه = ///ه ، وكذا الكبرى ////ه مكونة من سبب ثقيل // يتبعه وتد مجموع (// + //ه) = (////ه).

وهذا ما يفسر لنا - مثلا - لماذا نجد تفعيلة /ه/ه//ه تكتب مرة مستفعلن بهذا الشكل المتصل كما في بحر البسيط :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

....

في حين نجدها في بحر المجتث :

مستفع لن فاعلاتن مستفعلن

....

وفي /ه//ه/ه تكتب هكذا فاعلاتن في الخفيف :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

....

في حين نجدها نفسها في المضارع :

مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن

....

لاحظ :

/ه/ه//ه = مستفع لن في المجتث ، في حين نجدها في غيره متصلة ، هكذا /ه/ه//ه كما في البسيط مثلا.

وكذا /ه//ه/ه تكتب مرة فاعلاتن ، وأحيانا فاع لاتن ، كما سبق ، والسر في هذا :

هو الخليل بن أحمد الذي رسم الدوائر العروضية على الأسباب ، خفيفا /ه أو ثقيلا ، وعلى الأوتاد مفروقة /ه/ أو مجموعة //ه.

وعليه فإن التفاعيل ترسم حسب الدائرة التي فيها يقع ، ففي المضارع - مثلا - يجزأ بالشكل الآتي :

//ه + /ه + /ه + /ه/ + /ه + /ه + //ه + /ه + /ه الأجزاء الثلاثة الأولى //ه/ه/ه الوتد المجموع يليه سببان خفيفا /ه + /ه ، هذي الأجزاء الثلاثة تكون (مفاعيلن).

التفعيلة الثانية - محل النقاش - تتكون من :

- **وتد مفروق /ه/.**
- **سبب خفيف /ه.**
- **سبب خفيف /ه.**

تجمع هكذا - كما هي - وتد مفروق /ه/ (فاع) + سبب خفيف /ه (لا) + سبب خفيف /ه (تن) حين تضم الثلاثة (فاع + لا + تن) = فاع لاتن.

في حين هي في بحر الخفيف مكونة من /ه (فا) + وتد مجموع //ه + سبب خفيف تصبح هكذا :

(فا + علا - تن) = فاعلاتن.

وهكذا في /ه/ه//ه ، هي مرة (/ه + /ه/ + /ه/) = (س + تفع + لن) = (مستفع لن) وفي غيره (/ه + /ه + //ه) وليس (/ه + /ه/ + /ه/) وكذا كانت مرة : مستفعلن ، ومرة (مستفع لن).

لكن أيصح أن تكتبا في الحالتين (مستفعلن - فاعلاتن) ؟ في رأيي يصح ، ولم لا ، وخاصة في مراحل التعليم الأولى لعلم العروض.

ثانيا : ولكن لم هذي التسميات ؟ :

أ - دائرة المختلف : في الطويل والمديد والبسيط ، التفاعيل مختلفة في البحور المذكورة :

- الطويل : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.
- المديد : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن.
- البسيط : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

في كل بحر تفعيلتان مختلفتان في الطويل فعولن ومفاعيلن ، وفي المديد فاعلاتن فاعلن ، وفي البسيط مستفعلن ، فاعلن بالشكل الذي رأيناه.

ب- دائرة المتفق ، وفيها بحران المتقارب والمتدارك :

- المتدارك : فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن
- المتقارب : فعولن فعولن فعولن فعولن.

ج- <u>دائرة المؤتلف</u> : وهي سداسية التفاعيل ، وسميت هذه الدائرة بالمؤتلف لأن تفاعيلها متآلفة ، ففي الكامل (متفاعلن) ثلاث مرات ، وكذا في الوافر (مفاعلن) ثلاث مرات ، وإن كانت العروض والضرب في ذياك لا يأتيان إلا (فعولن) وليس (مفاعلتن) ، //ه/ه وليس //ه///ه وهكذا.

لأن مفاعلتن //ه///ه مكونة من سبب مجموع + فاصلة صغرى ، نفس تكوين تفعيلة ///ه//ه ، أي فاصلة صغرى + وتد مجموع ، وإن الوتد المجموع آخر التفعيلة هنا ، وليس أولها كما في //ه///ه ، لاحظ الفرق :

- //ه///ه مفاعلتن ← وافر.
- ///ه//ه متفاعلن ← كامل.

د- <u>دائرة المشتبه</u> : سداسية التفاعيل أيضا ، حيث تتشابه التفعيلات في كونها سباعية ، ففي الهزج (مفاعيلن) ٣ مرات في كل شطر ، وفي الرجز (مستفعلن) ٣ مرات ، وفي الرمل (فاعلاتن) ثلاث مرات أيضا.

هـ- <u>دائرة المجتلب</u> : دائرة سداسية التفاعيل ، مكونة من ستة عناصر ، حركة أو سكونا.

وقد سميت بدائرة المجتلب لاجتلاب بحورها من دوائر أخرى ، وقيل لكثرة بحورها ، إذ هي ستة :

- السريع : مستفعلن مستفعلن فاعلن.
- المنسرح : مستفعلن مفعولاتُ مُستفعلن.
- الخفيف : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن.
- المضارع : مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن.

- المقتضب : مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن.
- المجتث : مستفع لن فاعلاتن.

فكل التفاعيل في هذي البحور الستة مجتلبة مقتبسة من بحور أخر ، أو بمعنى أدق من دوائر أخرى ، هذي (مفاعيلن) مجتلبة من الطويل ، و (فاعلاتن) جائية من المديد ، و (مستفعلن) آتية اجتلابا من البسيط ، وهكذا.

ثالثا ـ هذي الدوائر جميعها تتكون من تسعة أجزاء ، تيك الأجزاء ـ كما كررنا ـ هي أسباب وأوتاد فقط ، باستثناء دائرة مكونة من ثمانية أجزاء ، أو ثماني وحدات ، هو دائرة المتقارب أو المتفق ، وفيها بحران (المتقارب والمتدارك).

لاحظ :

/ه/ه//ه = مستفع لن في المجتث ، في حين نجدها في غيره متصلة ، هكذا /ه/ه//ه كما في البسيط مثلا.

وكذا /ه//ه/ه تكتب مرة فاعلاتن ، وأحيانا فاع لاتن ، كما سبق ، والسر في هذا :

١ـ دائرة المتقارب : أو المتفق = ٨ وحدات ، فيها بحران فقط ، المتقارب = فعولن ٤ مرات ، والمتدارك = فاعلن ٤ مرات ، هذي هي الدائرة الوحيدة التي تتألف من ٨ وحدات فقط ، في حين تتمسك الدوائر الأربع الأخر بتسع وحدات ، لا تقل في واحدة منها ألبتة.

التفعيلتان في هذي الدائرة صغيرتان ، قصيرتان كلتاهما خماسية الوحدات من متحرك وساكن //ه/ه فعولن ، ومقلوبها /ه//ه ، فالتفعيلتان متقاربتان ، بل

متشابهتان متماثلتان في الكمية ، في أعداد المتحركات والسواكن ، وإن اختلف الترتيب - عكسا - في كلتيهما.

٢- دائرة المؤتلف : تسع وحدات هي على التمام والكمال من الأسباب والأوتاد ، وفيها بحران ، الكامل = متفاعلن ٣ مرات ، والوافر = مفاعلتن ٣ مرات ، كلتا التفعيلتين متفقتان في الكمية أيضا ، وإن اختلف الترتيب فانعكس ، كما هو واضح :

- //ه///ه مفاعلتن ← وافر.
- ///ه//ه متفاعلن ← كامل.

كلتا التفعيلتين مكونتان من وتد مجموع //ه + فاصلة صغرى ///ه = //ه///ه مفاعلتن ، وإن اختلف الترتيب عكسا كانت : فاصلة صغرى ///ه + الوتد المجموع //ه = مفاعلتن //ه///ه وهكذا.

٣- دائرة المختلف : هي تسع واحدات ، فيها ثلاثة بحور :

- الطويل : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.
- البسيط : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
- المديد : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

يلاحظ أن التفاعيل مختلفة عن بعضها في البحور الثلاثة ، ما بين فعولن ومفاعيلن في الطويل ، ومستفعلن فاعلن في البسيط ، وفاعلاتن فاعلن في المديد ، وهكذا.

٤- دائرة المشتبه : وفيها أيضا ٩ وحدات من أسباب وأوتاد حظيت بأكبر عدد من البحور ، هي ستة في العد والعدد :

- السريع : مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ.
- المنسرح : مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن.
- الخفيف : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن.
- المضارع : مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن.
- المقتضب : مفعولات مستفعلن مستفعلن.
- المجتث : مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن.

ويلاحظ أن التفاعيل هنا متشابهة ، ومن هنا سميت هذي الدائرة بدائرة المشتبه ، فهذي الدائرة تدور في بحورها الستة على ٤ تفعيلات :

- مستفعلن /٥/٥//٥.
- مفعولاتُ /٥/٥/٥/.
- فاعلاتن /٥//٥/٥.
- مفاعيلن //٥/٥/٥.

بل هذي التفاعيل الأربع متشابهة /٥/٥//٥ مقلوب //٥/٥/٥ و /٥//٥/٥ تشابهت مع /٥/٥/٥/ ، الفرق بينهما حذف الساكن الأخير في /٥//٥/٥ ثم وضع ساكن بين المتحركين لتصبح /٥/٥/٥/ مفعولاتُ.

٥- دائرة المجتلب : فيها أيضا ٩ عناصر من الأسباب والأوتاد ، لكن في ثلاثة بحور :

- الهزج : مفاعيلن ٣ مرات.
- الرجز : مستفعلن ٣ مرات.
- الرمل : فاعلاتن ٣ مرات.

وهكذا نسطيع القول بأن الدوائر العروضية تتكون من ٩ عناصر أو وحدات ، من الأسباب والأوتاد ، اللهم إلا دائرة المتقارب التي حصلت فقط على ٨ وحدات.

كما رأينا أيضا أن كل دائرة تحتوي على الأقل على بحرين كما في دائرة المتقارب (المتفق) ودائرة الوافر (المؤتلف) في حين حصلت دائرة الطويل والهزج على ٣ بحور ، أما دائرة السريع ففازت بالقدح المعلى من عدد البحور ؟ ستة بحور.

المادة الثامنة والستون
{٦٨}

القافية وما أدراك والقافية ، دقة الرياضيات مع المرونة التي تتسع لها قواعد العربية ، كيف ؟ هذا ما سوف نجده في شرح هذي المادة

فما القافية ـ يرحمك الله ـ وما تعريفها ؟ دون دخول تفاصيل وإملال وتطويلات ، القافية :

الأصوات التي تتكرر نهاية كل بيت ، من أول القصيدة إلى آخره ، أو بمعنى آخر من آخر البيت الأول إلى آخر بيت فيها ، وتكرر هذي الأصوات ، أو استمرار ، ركن أساس رئيس في الموسيقى الظاهرة للشعر.

يقابل القافية في الشعر ما يسمى بالفاصلة في ختم الآيات القرآنية ، مع الإشارة إلى أن ٩٠% من قوافي الشعر هي مطلقة ، تنتهي بحركة ، في حين نجد القوافي المقيدة ، أي التي تنتهي بالصامت الساكن ١٠% من قوافي الشعر.

على حين نجد الفواصل القرآنية على العكس مما سبق ١٠% مطلقة ، والباقي ٩٠% فواصل مقيدة ، إذ الأصل في الوقف في نثر عربية بني يعرب هو

السكون ، أي الصامت الساكن ، وأحيانا بالحركة الطويلة ، أما في الشعر فالأكثر الوقف على الحركة (٩٠%) والأقل السكون ، أي (١٠%) كما سبق.

وأقل أجزاء القافية عنصر واحد ، صوت واحد ، صامت ساكن ، ليس أقل ، كما في قول أحمد شوقي أمير الشعراء في انتحار الطلبة :

نشأ الخير رويدا ، قتلكمْ   في الصبا النفس ضلال وخُسرُه
ليس يدري أحد منكم بما   كان يعطي لو تأنى [1] وانتظره

الشاعر التزم الراء الساكنة وحدها في آخر كل البيت ، دون شيء قبلها ، أو غيرها.

ولكن القافية تزيد عن عنصر واحد إلى عديد من العناصر والأصوات ، فيأتي الشاعر بعديد من الأصوات المتكررة في كل بيت ، كما فعل أبو العلاء المعري في لزومياته ، مثل :

وأصفح عن ذنب الصديق وغيره
لسكناي بيت الحق بين الصفائح
وأزهد في مدح الفتى عند صدقه
فكيف قبولي كاذبات المدائح

فقد التزم الشاعر بما يسمى بألف التأسيس وما بعده ، من الدخيل (الهمزة هنا) لاحظ :

- الصفائح.
- المدائح.

---

(1) توفي أمير الشعراء (١٩٣٢م) وقال هذي القصيدة عندما كثر انتحار الطلاب الصغار عند رسوبهم في الامتحان ، هذا كان أيام أحمد شوقي ، قبل عام ١٩٣٢ من القرن الماضي.

وهكذا في بقية القصيدة ، لكن ليس كل الشعراء فعلوا كما فعل المعري في إلزام نفسه بما لا يلزم ، الشاعر يبغي تحدي غيره من الشعراء ، وأنه أتى بما لم يسطعه غيره.

أجزاء القافية - أو وحداتها - هي :

١- الروي : هو (الحرف) أو الصوت الذي تبنى عليه القصيدة ، وتنسب إليه ، فيقال : قصيدة لامية أو نونية أو تائية ، كما يقال لامية العرب ، أو العجم ، أو سينية البحتري ، مرة أخرى : الروي هو (الحرف) الذي يجب أن يلتزمه الشاعر ، في كل أبيات القصيدة ، من أولها إلى غيرها.

٢- الوصل : ما يجيء بعد الروي من حرف مد ينشأ من إشباع الحركة القصيدة ، وقد يكون الوصل بالهاء بعد الروي ، هذا الوصل بنوعيه - إشباع الحركة القصيرة أو الهاء - يجب أن يلتزم في القصيدة كلها من البيت إلى البيت الأخير.

٣- الرِّدف : حرف مد قبل الروي ، ألف مد ، واو مد ، ياء مد ، تأتي قبل الروي مباشرة ، فإن كان ألف ، أي : فتحة طويلة ، وجب التزامه في القصيدة كلها ، إذ ألف المد لا تتبادل مع واو المد ولا مع ياء المد ، والعكس صحيح وصحيح.

٤- التأسيس : ألف مد أو فتحة طويلة ، بينها وبين الروي صامت متحرك ، هذي الألف المدية تلتزم في سائر أبيات القصيدة من أولها إلى آخرها.

٥- الدخيل : هو هذا الصامت المتحرك الذي فصل بين التأسيس وبين الروي ، وهنا لا يشترط صامت بعينه ، بل يشترط أن يكون هناك صامت متحرك أي صامت ، أو صوت لين ، واوا أو ياء متحركتين.

٦- الخروج : هو المد الناشئ عن إشباع هاء الوصل ، المفتوحة ، أو المضمومة ، أو المكسورة ، حيث تتحول الحركة القصيرة بعد الهاء إلى حركة الطويلة.

وقبل الحديث عن تفصيل ما سبق من أسماء ومصطلحات عندي ملاحظة على ما سبق ، بعدهما نفصل ما سبق تفصيلا وإسهابا.

أولا ـ الملاحظة : وهي بادهة واضحة ، شديدة الوضوح ألا وهي أن ٤ من ٦ من وحدات القافية هي حركات طوال كما في الردف والتأسيس ، أو تطويل الحركات القصار ، وإشباعها لتصبح حركات طوال ، كما في الوصل والخروج ، ما يدل على ضرورة الحركات الطوال في الشعر العربي ، وخصوصا خصوصا القافية ، ما يتكرر نهاية أبيات القصيدة.

ثانيا ـ تعليل التسميات :

١- الروي : مأخوذ من الرواء وهو الحبل يضم شيئا إلى شيء ، لأن الروي قد ربط أجزاء البيت ، ووصل بعضها ببعض ، أو لكأنه ربط أبيات القصيدة بعضها ببعض ، وقيل لأنه ـ أي الروي ـ به اعتصام الأبيات وتماسكها ، ولولا لتفرقت الأبيات ، ولم تتصل الأبيات لتزدان قصيدة متماسكة.

ولأهمية الروي الشديدة لا تخلو منه قصيدة ، إذ قد تخلو من الردف أو الصلة أو الخروج ، لكن لا توجد قصيدة عاطلة خالية من الروي.

٢- الوصل : ما يأتي بعد الروي من إشباع للحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة أو هاء ، وهو ما يلتزم في القصيدة كلها ، وقد سمي وصلا لوصله بالروي واتصاله به ، ومجيئه بعده.

٣- الخروج : وهو المد الذي ينشأ من إشباع هاء الوصل المتحركة ـ أي بحركة قصيرة ـ لتصبح حركة هاتيك الهاء طويلة ، فتح أو ضم ، أو كسر ، وقد سمي الخروج خروجا لخروجه وتجاوزه الوصل ـ بالهاء ـ التابع للروي ، أو الذي يأتي بعده.

٤- <u>الردف</u> : حرف المد قبل الروي مباشرة ، لأنه خلف الروي كردف الراكب الذي يركب خلفه ، إن كان ألف مد التزم في القصيدة كلها ، وإن كان واو مد أو ياء مد ، تعاقبتا ، هذا جائز ، أما ألف المد فلا تتعاقب مع ياء المد أو واوه ألبتة.

٥- <u>ألف التأسيس</u> : ألف مد (فتحة طويلة) بينها وبين الروي صامت متحرك ، لأن هذي الألف المدية تقدمت على جميع أجزاء القافية ، فكأنها أشبهت أس البناء وأساسه.

٦- <u>الدخيل</u> : لأن هذا الصامت المتحرك والذي لا يشترط فيه التزام صامت بعينه ، بل أي صامت متحرك يمكن أن يتبادل مع نظير له ، هذا الصامت دخل أو انحشر بين ألف التأسيس والروي فهو دخيل غريب بينهما.

<u>ثالثا</u> : ومرة أخرى مع وحدات القافية - أو أجزاء القافية - لنقف وقيفة مع كل وحدة مرة أخرى ، ونعطيها تفصيلا وتمثيلا.

نعيد الكلام مرة بعد أخرى قصدا عمدا مع سبق الإصرار والتعمد باغين قاصدين الإفهام ، لأن المعلومة إذا فرق دمها بين القبائل والمواضع فإنها في الذهن والعقل تثبت وتركز - بفتح الكاف - فالقاصي والداني على يقين من صعوبة عروض الشعر وقوافية ، وصعوبة استيعابها وفهمها ، ومن هنا كان التكرار هنا قصدا قصدا.

ونبدأ نعيد الشريط مرة أخرى :

<u>أولا - الروي</u> : الصوت الذي يتحتم تكراره في آخر كل بيت القصيدة ، وإليه تنسب القصيدة ، ولا يكون الشعر مقفى إلا بوجود هذا الروي ، وقد سبق أن أقل وحدة في القافية عنصر واحد ، صامت واحد ساكن ، كما سبق.

على أي حال يقول أستاذنا الدكتور [1] أمين السيد : (لو استعرضنا الشعر العربي - قديمه وحديثه - وجدنا معظم حروف الهجاء وقعت رويا ، لكنها تختلف في نسبة شيوعها) كيف ؟ يستمر أستاذنا قائلا : (الراء واللام والميم والنون والدال والباء والسين والقاف والهمزة أكثرها وقوعا) ثم (التاء والكاف والعين والحاء والفاء والياء والجيم تليها في وقوعها رويا ، أما الضاد والطاء والهاء فهي قليلة الوقوع رويا).

آخر مجموعة يذكرها أستاذنا : (الحروف التي يندر وقوعها رويا : الثاء والذال والخاء والزاي والصاد والشين والظاء والواو).

ويلاحظ أن المجموعة السابقة باستثناء الواو ، هذه المجموعة كلها صوامت احتكاكية ، في حين وجدنا المجموعة الأولى الأكثر وقوعا رويا فيها صامت واحد فقط مهموس هو السين ، باقي الصوامت إما متوسطة (ر - ل - م - ن) أو انفجارية : (د - ق - ب - ء) والتي يليها وقوعا في الروي فيها :

- ٣ صوامت احتكاكية (ع - ح - ف).
- ٢ صامتان انفجاريان (ت - ك).
- ١ صامت واحد مركب من انفجار واحتكاك (ج).
- ١ صوت واحد نصف حركة أو ياء لينة .

وفي المجمل أرى القافية العربية تميل في رويها إلى الصوامت أو الأصوات اللينة (أنصاف الحركات) ولا تميل إلى الحركات الطوال ، إذ هي راغبة عنها ، لماذا وما هو السبب ؟ إن القافية تتحمل حركات طوال في مواضع آخر ، في :

(1) في علمي العروض والقافية ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص١٩٩.

- التأسيس : لا يكون إلا بمد ، أي حركة طويلة.
- الردف : مد.
- الوصل : مد.
- الخروج : مد.

ولنا عود إلى هذي النقيطة فيما بعد.

على أية حال فإن الحركات الطوال وبعض الصوامت لا تكون رويا ـ قطعا قولا واحدا ـ في أحوال ، هي :

١ـ ألف المد (الفتحة الطويلة) : لا تكون رويا في خمسة أحوال :

أ ـ ضمير المثنى : مثل قاما وأكرما وأفهما ، ألف المد هنا وصل ، ولا تصلح رويا.

ب ـ أن تأتي لبيان حركة البناء :

فقالت : صدقت ولكنني　　　أريد أعرفها من أنا

جـ ـ ألف الإطلاق ، وتسمى ألف الترنيم أو الإشباع :

أقللي اللوم عاذل والعتابا

وقولي إن أصبت لقد أصابا

د ـ ألف المد التي يوقف بها على المنون المنصوب ، أو مبدلة عن نون التوكيد الخفيفة.

هـ ـ ألف المد اللاحقة لهاء الغيبة :

يوشك من فرّ من منيته

في بعض غراته يوافقها

فألف المد في كل ما سبق ليست رويا ، ولا يصح أن تكون رويا.

٢- ياء المد : في الأحوال الآتية :

أ- ياء الترنيم أو الإشباع :

يزل الغلام الخف عن صهواته

كما زلت الصفراء بالمتنزل

ب- ياء المتكلم (صاحبي - كتابي) أو ياء المخاطبة (اقنتي - ولا تجزعي) مثل :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

جـ- ياء المد الناتجة عن كسرة المبني على الكسر ، مثل : (بهي - دارهي) بدل : (بهِ - دارهِ) فهذي الياء خروج ، والهاء من قبلها وصل ، والروى ما قبل الهاء.

٣- واو المد ، وفي مثل ما سبق من أحوال :

أ - أن تكون للإطلاق ، أو الترنم والإشباع ، تحول الضمة القصيرة إلى طويلة ، كما حدث لألف المد وياء المد ، حيث تتحول الحركة القصيرة إلى طويلة ، أي الفتحة إلى ألف مد ، الضمة لواو مد ، والكسرة لياء مد.

ب- واو الجماعة : إذا كانت مدية ، مثل :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

٤- التنوين.

٥- نون التوكيد الخفيفة.

٦- الهاء :

أ - إن كانت للسكت ، مثل :

بالفاضلين أولي النهي   في كل أمرك فاقتده

ب- هاء الضمير : إذا تحرك ما قبلها ، كقول زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلهْ

وعُري أفراس الصبا ورواحله

الهاء وصل ، والروي هو اللام التي قبلها.

جـ- هاء تأء التأنيث :

ثلاثة ليس لها رابع   الماء والحسناء والخضرة

الهاء وصل ، والروي هو الراء.

وهكذا تبين لي أن العربية في شعرها وقافيتها تميل إلى الصوامت وأصوات اللين - الواو أو الياء - تتجنب الحركات الطويلات ، وفي الموضوعات المذكورات آنفات ، حيث لم يضف إليها من الصوامت غير النون والهاء وفي بعض المواضع ، ليس إلا.

العربية تقبل الصامت - أو اللينين - رويا ، بعدها تأتي الحركة الطويلة أو النون أو الهاء ، وهكذا.

ثانيا - عيوب القافية : أشار العروضيون إلى أن القافية في شعر عربية بني يعرب بها عيوب عندهم ، هي :

١- الإيطاء : كلمة واحدة في أكثر من قافية ، كما في قول النابغة :

وواضع البيت في سوداء مظلمة

تقيد العير لا يسري بها الساري

ثم قال :

لا يخفض الزُرّ (1) عن أرض ألم بها

ولا يضلعن مصباحه الساري

لقد جاء بكلمة واحدة هي (الساري) في أكثر من قافية.

٢- <u>التضمين</u> : البيت وحدة القصيدة ، أو بمعنى آخر الجملة الشعرية وحدتها وواحدتها المستقلة البيت الواحد ، فإذا انشطرت الجملة بين بيتين عد هذا عيبا.

يقول العروضيون : (وإنما عد التضمين عيبا لأن الروي محل الوقف والاستراحة ، فإذا افتقرت لما بعدها لم يصح الوقف عليها ، فخرجت عن اللائق بها ، أما إذا سلمت من الافتقار فلا عيب لانتفاء هذا المحذور المحظور (2)).

٣- <u>الإكفاء</u> : اختلاف الروى بأصوات متقاربة المخارج ، مثل الميم والنون ، وهما صوتان أنفيان ، أو هما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة العربية :

بني إن البر شيء هيّن

المنطق اللين والطعَيم

الميم مخرجها الشفتان ، أو يأتي نطقها بإغلاق الشفتين لطريق الهواء ما يجبره على الخروج من الأنف ، إذ هو صوت أنفي ، أحد الصوتين الأنفيين في العربية ، أو أحد أنفيي الصوامت العربية.

لكن النون ليست شفوية ، بل هي لثوية ، بمعنى أن اللثة يرتفع إليها طرف اللسان ليغلق طريق الفم ، بحيث يجبر الهواء على الخروج من الأنف ، أو من طريق الأنف.

---

(1) الرز بضم الراء الأرز ، ويكسر الراء الصوت يأتي من بعيد ، راجع القاموس المحيط ، مادة (ر ز ت).
(2) أمين على السيد : في علمي العروض والقافية ، ص٢٢٨.

وقد يجمع الشاعر بين اللام والنون ، وهما من مخرج واحد (تقريبا) لكن يجمع بينهما أن كليهما صوت متوسط ، برغم أن اللام جانبية والنون أنفية ، كما سبق.

٤- الإجازة : بالزاي ، أو الراء اختلاف الروي بأصوات (متباعدة المخرج) كما يصفها العروضيون ، مثل : (اللام والميم) كما في قول الشاعر :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك

بملك يدي أن الكفاء قليل

رأى من خليله جفاء وغلظة

إذا قام يبتاع القلوص ذميم

على أية حال فقد نظرت في أمثلة الإجازة وكذا أمثلة الإكفاء فوجدت المخرج متقاربا إلى حد كبير ، بل ربما كان المخرج واحدا ، فالروي اختلف - في كليهما - ما بين :

- اللام والميم.
- اللام والنون.
- النون والميم.
- العين والغين.
- الدال والطاء.

الواقع أن المخرج متقارب في كل ما سبق من أمثلة يصل أحيانا إلى درجة وحدة المخرج كما في الدال والطاء (تقريبا).

كما أن تقارب المخرج واضح بين العين والغين ، وبين اللام وكل من الميم والنون ، وبين النون والميم ، وأهم من تقارب المخرج هو اتحاد الصفة بين الصوتين ، كما في :

- اللام والميم.
- اللام والنون.
- النون والميم.

فهذي الأصوات السابقة (اللام والميم والنون) كلها أصوات متوسطة من مجموعة (ل م ن ر) مع ملاحظة غياب الراء هنا ، ربما بسبب طبيعة نطقها ، إذ هي صوت قابل للتكرير ، أي تكرير ضربات اللسان - من طرفه - على اللثة.

على أي حال فهذا الثلاثي (ل م ن) يظهر فيه جريان الهواء واستمراره عن النطق بها ، مع الأخذ في الاعتبار أن اللام جانبية ، أي يخرج الهواء من جانبي اللسان ، والباقيان صوتان أنفيان ، الصوتان الأنفيان في العربية ، ومن ثم فقد تبادلت هذي الصوامت في محل الروي لأنها تتفق في صفة التوسط ، وجريان الهواء عند النطق واستمراريته ، وعلى رأسها الأنفيان (م ن) ثم الجانبي اللام ، مع استبعاد الراء - مع أنها متوسطة - لأنها يمكن أن تقبل التكرير ، يمكن أن تتكرر ضربات اللسان - من طرفه - على اللثة.

ثم العين والغين وجدنا التقارب في المخرج ، وكذا بين الدال والطاء ، كما سلف.

٥- الإقواء : اختلاف حركة الروى بين أبيات القصيدة الواحدة (بحركة تقاربها في الثقل) وهي الكسرة مع الضمة ، وعيبه ظاهر لما فيه من المخالفة بين القافية [1] كما في بيتي النابغة :

(1) الشيخ : دراسات في علم العروض والقافية ، ص٢٥٤.

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر

جسم البغال وأحلام العصافير

كأنهم قصب جوف أسافله

مثقب نفخت فيه الأعاصير

في البيت الأول (العصافير) مجرورة بالإضافة ، وفي الثاني (الأعاصير) فاعل كسرة مرة وضمة أخرى.

٦- الإصراف : بالسين أو الصاد ، اختلاف حركة الروي المطلق بالفتح مع الضم أو بالكسر :

أريتك إن منعت كلام يحيى

أتمنع على يحيى البكاء

ففي طرفي على يحيى سهاد

وفي قلبي عن يحيى البلاءُ

قافية الأول منصوبة الروي بالفتحة الظاهرة ، في حين في قافية البيت الثاني (البلاء) مرفوعة مبتدأ مؤخر ، حركة الروي في البيت الأول فتحة وفي الثاني ضمة.

ومثال التعاقب بين الفتحة والكسرة :

ألم ترني رددت على ابن ليلى

منيحته فعجلت الأداءَ

وقلت لشاته لما أتتنا

رماك الله من شاةٍ بداءِ

في البيت الأول حركة الروي فتحة وفي الثاني كسرة ، فعاقب بين الفتحة ، وهي حركة متسعة وبين الكسرة ، وهي حركة ضيقة.

بقي من عيوب القافية الذي يشير إلى فهم علماء العربية ما يفرق بين الحركات والسكون ، وما بين الحركات بشكل عام ، هذا العيب هو :

٧- السناد : وهو خمسة أنواع ..

أ - سناد التأسيس : أن نجد التأسيس في قافية ، ولا نجده في أخرى في ذات القصيدة :

لو أن صدور الأمر يبدون للفتى

كأعقابه لم تلفه يتندم

وإذ الأرض لم تجهل عليّ فروجها

وإذ لي عن دار الهوان مراغم

فالبيت الثاني مؤسس بألف المد (مراغمُ) في قافيته والأول غير مؤسس (يتندَّم).

ب- سناد الردف : أن يكون الردف في قافية ويخلو من غيرها :

إذا كنت في حاجة مرسلا	فأرسل حكيما ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى	فشاور لبيا ولا تعصه

جـ- سناد الإشباع : اختلاف حركة الدخيل بحركتين متقاربتين في (الثقل كالضمة والكسرة) مثل :

وكنا كغصني بانة ليس واحدةٌ

يزول على الحالات عن رأي واحد

ونحن نترجم (الثقل...) أو نصوغها بتعبير آخر ، لقد تعاقبت الضمة والكسرة ، وهو عيب أقل من تعاقب الفتح مع الكسر - كما سيأتي - حيث إن هذا النوع من الثقل سببه أن الضمة والكسرة كلتاهما حركة ضيقة ، ومن ثم نجد بعض التماثل بين الحركتين ، يختلف عن التباعد بين الفتحة والكسرة ، إذ الحركة الأولى متسعة وفي الثانية (الكسرة) - كما سبق - هي حركة ضيقة ، ليست بمتسعة :

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد

فأقبلت أسعى كالعجوز أبادرُ

فشلت يميني يوم أضرب خالدا

ويحجبه عني الحديد المظاهرُ

د- سناد الحذو : مثل :

لقد ألجُ الخباء على جوار — كأنهن عيونهن عيون عِينِ

كأني بين خافيتي غراب — يريد حمامة في يوم غَيْنِ

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

ولا تبقي خمورا الأندرينا

وقددت الأديم لراهشيه

وألفي قولها كذبا ومينًا

والأمثلة هنا هي تعاقب بين الحركة الطويلة وبين الصوت اللين الساكن مع فتح ما قبله ، لاحظ :

- عين / غَيْن.
- الأندرينا / مينًا.

في كتاب أستاذنا الدكتور أمين السيد : (وقد جعل بعضهم الواو والياء ردفين إذا كان قبلهما مفتوحا ، نحو : ريْب وثوْب).

ما سبق من كلام أستاذنا يفيد أن الردف (ما قبل الروي) يجب أن يكون حركة طويلة ، ففي الألف المدية - الفتحة الطويلة - لا مشكلة ، حيث إن طبيعة نطقها واحدة ، حركة طويلة ليس إلا ، أما حالتي الواو والياء فهما قد يكونان حركتين طويلتين ، ضمة طويلة ، أو كسرة طويلة [1] ، ويمكن أن يكونا لينين ، فإن كانتا لينتين صح أن يكونا ردفين ، شرط أن تسكنا ويفتح ما قبلهما (رَيْب - ثوب) وهذا ملمح عجيب طريف.

كيف ؟ إن الردف حركة طويلة (فتحة أو ضمة أو كسرة) ولا يصح أن يكون صوتا لينا ، نعم ، نعم ، لكن إذا سكن وفتح قبله صح أن يكون ردفا !! وعجبي وشديد تعجبي من أن العربية نظرها حاد جديد ، لا تنسى شيا - شيئا - كما سبق في مسائل أخر.

إن العربية سوت بين الحركة الطويلة وبين النظير اللين إذا سكن وفتح ما قبله ، أي تسوي بين الكسرة الطويلة وبين الياء اللينة إذا سكنت وفتح ما قبلها ، وبين واو المد ، أو (الضمة الطويلة) وبين الواو اللينة إذا سكنت وفتح ما قبلها ، هذا حدث قبل هذا في العربية ، أو في دستور العربية :

١- في القرآن الكريم يجب المد - وزيادته - قبل الهمز وقبل السكون لكل من أصوات المد (الفتحة الطويلة - الكسرة الطويلة - الضمة الطويلة) كما هو المعروف المشهور في كتب القراءات القرآنية.

---

(1) في علمي العروض والقافية ، ص١٩٥.

وهذا ما يحدث مع الواو والياء اللينتين إن سكنتا وفتح ما قبلهما قبل الهمز ، وقبل السكون أيضا ، مثل : (هيئة - سوءة - عين - الخوف [1]).

إن هذا الوضع ، سكون وقبله فتح يتيح زيادة الزمن كما في الحركات الطوال (ألف المد - واو المد - ياء المد) وانسياب الصوت واستمراريته.

٢- في كتابة الهمزة العربية وحسب قاعدة أقوى [2] الحركتين فإننا في مثل (هيئة - حطيئة) كان علينا أن نكتبها على ألف ، حيث وقعت الهمزة بين ساكن وفتح ، فالحركة الأقوى الفتحة ، ومن ثم كان علينا أن نكتب الهمزة على ألف ، ولكن الهمزة انكتبت على ياء ، أو على نبرة ، وكأنها وقعت بين سكون وكسر ، فما السر ؟.

لقد عوملت الياء الساكنة المفتوح ما قبلها معاملة الياء المدية (الكسرة الطويلة) وعليه اعتبرت الهمزة واقعة بين سكون وكسر فمن حقها أن تكتب على ياء ، أي على نبرة ، في مثل (خطيئة - قميئة) وهكذا شابهت العربية وشاكلت ما بين الحركة الطويلة وما بين نظيرها اللين الساكن وما قبله مفتوح.

وبمعنى آخر سوت العربية ما بين الكسرة الطويلة وما بين الياء اللينة ، إن سكنت وفتح ما قبلها ، كما حدث في ردف القافية وفي مد هذا اللين الساكن ، كما في القراءات القرآنية ، وهكذا العربية نظرها حاد وحديد ، وذاكرتها قوية حادة حادة ، لا تنسى شيئا.

(1) راجع النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٥٠/١ وقبلها.
(2) راجع كتابنا القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل ..

هـ - سناد التوجيه : اختلاف حركة ما قبل الروي المقيد (الساكن) في مثل قول رؤبة :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق ← الراء مفتوحة.

ألف شتى ليس بالراعي الحمق ← الميم مكسورة.

شذابة عنها شذى الربع السحق ← الحاء مضمومة.

القافي فيما سبق هي الروي ، وما قبلها أتى مرة فتحة وثانية كسرة ، وفي الثالثة ضمة ، أي تعاقب بين الحركات الثلاث الفتح والكسر والضم.

فرغت الآن ونفدت جعبتي مما أريد تسطيره في أجزاء القافية ووحداتها ، فقط بقيت لدي بعيض كليمات ، أسردهن كالآتي :

أولا - الوقف في الجملة النثرية أو على جملة النثر لا تكون إلا بصامت ساكن أو حركة طويلة ، وذلك في الحروف والأفعال وكذا في الأسماء المبنية ، أما في الأسماء المعربة فإنه يرجى الإفادة بأنها لا تنتهي مطلقا ألبتة بالضمة الطويلة (واو المد) هذا محظور مهم في لغيتنا العربية ، في الأسماء المعربة.

كما أنه في النثر لا وقف على حركة قصيرة ألبتة ، الحركة القصيرة تسقط عند الوقف ، وكذا التنوين في الأسماء المنونة :

- هذا كتابْ.
- إنه يكتبْ.
- لقد فهمْ.

وليس :

- هذا كتابٌ.
- إنه يكتبُ.
- لقد فهمَ.

لكن في الشعر نجد الوقف إما بالصامت الساكن أو على الصامت الساكن ، كما في القافية المقيدة ، أو الحركة أية حركة طويلة أو قصيرة ، كما في :

- القافية المقيدة :

ورفيعٍ لم يسوده أب	من أبو الشمس ، ومن جد القمر ؟
فلكٌ جارٍ ودنيا لم يدم	عندها السعد ولا النحس استمرّ

القافية مقيدة هنا بسكون الآخر ، أو مشددة ، السكون الخفيف ، أو سكون الراء جاء في البيت الأول ، وفي الثاني سكون شديد ، أو صامت مشدد ، هو الراء المشددة في (استمر).

وهكذا تبيح العربية تعاقب الساكن ، أو السكون الخفيف مع السكون الشديد ، أو الصامت المشدد.

- القافية المطلقة :

تنتهي بحركة قصيرة أو طويلة ، فمن الحركة القصيرة قول ابن الصيفى :

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأساري وطالما	غدونا على الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت وبيننا	وكل إناء بالذي فيه ينضح

القافية مطلقة بحركة قصيرة في الأبيات الثلاثة ، لكن قد تكون بحركة طويلة :

يا خليلي لا تذمّا لي المـو   ت ، فإني من لا يرى العيش حمدا

لا أقول اسكنا إلى هذه الدار   غــرورا ، ولا أقــول استعــدا

وكما يتعاقب الصامت الساكن سكونا خفيفا مع المشدد ، أو السكون الشديد ، كذا تتعاقب الحركة القصيرة مع نظيرتها الطويلة :

فوجمت أحوج ما أكون تكلما

وعجزت عن تصوير بعض عزائي

ومن الحوادث ما ينوء بحمله

شعب ويخرس ألسن الشعراءِ

هذا تعاقب بين الكسرة الطويلة والقصيرة ، وكذا تتعاقب الفتحة مع ألف المد ، والضمة مع واو المد.

فمثال الضمة مع الواو المدية قول الرافعي :

يا أرض ، يا جنان ، يا أهل السما

يا من يكونون ، ويا من كانوا

إن يسأل الإنسان عن عدوه

فخبروا أن اسمه الإنسانُ

ومن تعاقب الفتحة مع الفتحة الطويلة :

سهرت والليل أمسى للورى سكنا

فمن يدل على أجفاني الوسنا

أرى كواكبها حتى إذا أفلت

ألقيت للطير في تحنانها الأذنَ

وأسأل الحب عن روحي عن بدني

فلا أرى لي لا روحا ولا بدنا [1]

وفي إطلالة على ديوان الرافعي رأيت القافية المطلقة بواو مدية متعاقبة مع الضمة القصيرة ، وكذا تتعاقب الكسرة القصيرة مع ياء المد ، أما فيما خص الفتحة والفتحة الطويلة فقد لاحظت في ديون الرافعي الروي المطلق بألف مدية كثير كثير ، لكن التعاقب مع الفتحة قليل ، ربما هو نادر ، وأعترف أنني تعبت حتى وجدت هذا المثال لتعاقب الفتحة الطويلة مع نظيرتها القصيرة.

وقبل أن نغادر الحديث عن القافية المطلقة بالحركة طويلة أو قصيرة ، نعود إلى القافية المقيدة لنوكد مرة بعد مرة أن القافية والروي المقيد هي الأقل ، هو الأقل في شعر عربية بني يعرب ، فإن الغالبية قوافي / قوافٍ مطلقة ، على عكس الفاصلة القرآنية أكثرها مقيد ، والقلة منها أو فيها مطلق ، لكن بالحركة الطويلة ، ليس القصيرة ، على عكس الشعر الذي تأتي قافيته مطلقة بالحركة قصيرة أو طويلة.

وفي القافية المطلقة تتبادل وتتعاقب الحركة القصيرة مع الطويلة ، ولا شية فيها ولا عجب ، كذلكم التعاقب ما بين السكون أي (الخفيف) وما بين السكون الشديد ، أو (الشدة) أو الصامت المشدد.

وقد سلف مثال لقافية مقيدة بالراء الساكنة التي تعاقب مع الراء المشددة ، ومن طرافة بلا عجب أنا في سورة القمر رأينا الفاصلة رائية ، أي ساكنة ، فهي

(1) ديوان الرافعي ، القاهرة ٢٠١٠م ، ص٧٦ ، ٧٧.

فاصلة مقيدة ، في آيات السورة الخمس والخمسين هي راء ساكنة ، تتخللها راءات مشددة في عدد ـ قليل ـ من الفواصل ، هي على وجه التحديد في الآيات :

- ٢ ← آخرها كلمة : مستمرّ.
- ٣ ← آخرها كلمة : مستقرّ.
- ١٩ ← آخرها كلمة : مستمرّ.
- ٣٨ ← آخرها كلمة : مستقرّ.
- ٤٦ ← آخرها كلمة : وأمرّ.

يلاحظ :

- مستمرّ .. مرتين.
- مستقرّ .. مرتين.
- وأمر .. مرة واحدة.

ألم أقل : إن معنى أن العربية لغة القرآن أنها مؤيدة بشواهدها أو في شواهدها بالقرآن الكريم الذي نزل من السماء متواترا بذات النطق والقراءة ، منذ أخذه أمين الوحي (جبرائيل) عن رب العزة ، ثم من جبرائيل إلى الرسول الخاتم (ﷺ) بذات القراءة ، كما قال رب العزة (ﷻ) في القرآن الكريم : (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) وقراءته ، أو طريقة قراءته : (ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) تكفل ربنا لرسوله بما يلي :

- أن يجمع القرآن كاملا لا ينسى محمد منه شيئا.
- أن يأخذ محمد طريقة القراءة والنطق من أمين الوحي.
- أن يفسره ربنا لنبيه وأن يبينه له.

والآن فرغنا من الحديث عن القافية والعروض وقد راعينا أن نكرر بعض المعلومات حتى تثبت في الذهن ، حيث أذهان كثير من العرب خالية تمام عن أي معلومات عن الشعر وعروضه وتقفيته ، كما تركز كلامنا على القصيدة العربية الأصلية ، عروض الخليل والقافية الواحدة ، من أول القصيدة إلى آخر بيت فيها.

كما أعرضنا عن الضرورة الشعرية ، باعتبارها خارج دستور العربية - في رأينا - إنها ضرورة مجرد ضرورة.

الفصل السابع

أصوليات
وأقيسة
وعلل

فرغنا من العروض والقافية ، تنفست الصعداء ، حيث ظهر الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، إذ الصبح انبلج ، ولم يعد أمامنا في دستور عربية بني يعرب غير هذا الفصيْل ، ثم الخاتمة ، الأمور هانت (سهلت) وبانت (ظهرت) ، أو ظهرت لبتها ، فات الكثير وبقي القليل الكسير ، وهو ما آمل أن أفرغ منه قريبا قريبا ، وأن نتمكن ـ بعون الله وتوفيقه ـ من طباعته ونشره ، كما تمكنا من نشر المواد السابقات في الحلقات الآنفات من الأولى إلى السادسة ، وفي الطريق الحلقة السابعة.

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

خادم اللغة العربية

المادة التاسعة والستون
{٦٩}

اللهجات العربية القديمة جزء من معين العربية الثر ومن محيطها المتسع ، سيما إذا قبلها القياس أو النظام العام للغة العربية ، أو به أخذ القرآن الكريم ، وإن في بعض قراءاته.

يتصور بعض الناس من بادهي الرأي أن العربية هي الفصحى فقط ، دون لهجاتها ، حديثها ، وربما قديمها ، والحق الحقيق والصدق الصدوق أن العربية هي الفصحى واللهجات على السواء.

إذ اللهجات أخت الفصحى ، أختها أختها ، ليس ضرتها ـ بفتح الضاد ـ وفي العامية المصرية بضمها.

والأمر لا يقتصر في حكمنا هذا على اللهجات القديمة ، بل يمتد ذياك الحكم إلى اللهجات الحديثة ، أو ما يطلق عليه (العاميات) العربية ، صحيح أنا نفضل عليها فصحانا في المواقف الجدية ، أو في بعض المواقف، لكن الصحيح أيضا أن هذي العاميات ليست نقيضة الفصحى أو ضرة لها ، ونحن في كثير من الأحايين نستخدمها في السوق والشارع ومع عامة الناس ، وخاصتهم.

وأحيانا يتداخل شيء من العامي في فصحانا العربية.

نخلص مما سبق إلى أن العاميات العربية جزء من عربية بني يعرب ، لها مجالها واستخدامها وضرورتها أحيانا.

المشكلة هنا هو عندما ندرس العربية لأبنائنا ، أو نعلمها لغير العرب ، هل نختار الفصحى أم نختار العامية ؟ وأية عامية نختار ؟.

إن الرأي اختيار الفصحى في تدريسها وفي تعليمها ـ لغير العرب ـ أو على الأقل البدء بها ، فإذا ما كان متعلم العربية بحاجة إلى العامية للتعامل بها مع جمهور الناس فلا بأس أن نعلمه قدرا من العامية يتعيش بها ، ويتعامل مع عامة الناس.

ونختار له العامية التي يحتاجها في البلد الذي يعيش فيه ، فإن كان في السعودية علمناه عامية السعودية ، وإن كان في مصر علماه اللهجة المصرية ، لكن إذا كان يتعلم لهجة واحدة يجول بها في أكثر من قطر عربي علمناه العامية المصرية ، فهل الأسهل والأوضح والأكثر فهما في لهجات العرب ، تليها اللهجة اللبنانية.

أما اللهجات العربية القديمة فهي الأخرى جزء لايتجزأ من نسيج العربية ، ويمكن أن يؤخذ بها.

جاء في المزهر : (قال ابن جني في الخصائص : اللغات أي اللهجات العربية القديمة ، على اختلافها كلها حجة ، ألا ترى أن لغة الحجاز في إعمال ما ، ولغة تميم في تركه ، كل منهما يقبله القياس ، فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأن ليست

أحق بذلك من الأخرى ، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد نسبا بها ... [1]).

ويستمر السيوطي قائلا : (فأما رد إحداهما بالأخرى فلا ، ألا ترى قوله (ﷺ) نزل القرآن بسبع لغات ، كلها شافٍ كافٍ ، هذا إن كانت اللغتان في القياس سواء ، أو متقاربتين ، فإن قلت إحداهما جدا ، وكثرت الأخرى جدا أخذت بأوسعهما رواية وأقواها قياسا [2]).

وأنا أفهم : (أوسعهما رواية وأقواهما قياسا بأنه ما وافق النظام العام في العربية في دستورها ، أو خصائصها العامة).

صاحب المزهر يلخص المسألة بقوله : والكلام بعد ذلك أربعة أبواب :

- الباب الأول : المجمع عليه الذي لا علة فيه ، وهو الأكثر الأعم.
- الباب الثاني : ما فيه (لغتان) أو أكثر إلا أن إحدى اللغات أفصح ، نحو : بغداذ وبغداد وبغدان هي كلها صحيحة ، إلا أن بعضها في كلام العرب أصح وأفصح.
- الباب الثالث : ما فيه لغتان أو ثلاث أو أكثر ، وهي متساوية كالحصاد (بفتح الصاد أو كسرها)... (كلاهما فصيح صحيح).
وعلى هذه الأبواب الثلاثة بنى ثعلب كتابه : (فصيح الكلام).
- الباب الرابع : ما فيه (لغة) واحدة إلا أن المولدين غيروا فصارت ألسنتهم بالخطأ جارية ، نحو .. عرق النسا بكسر النون.

ثم يقتبس السيوطي عن ابن هشام في شرح الشواهد :

(1) المزهر ١/٢٥٧.
(2) السابق.

كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الأبيات [1] .. انتهى.

تفسير مقبول منطقي لاختلاف الروايات في بعض الأشعار.

ثم يحكي السيوطي نماذج من الاختلافات اللهجية ، نسرد بعضها :

١- اختلف رجلان في (الصفر) أهو بالصاد أو بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما ، حكيا له ما كان ، فقال : لا أقول ما قلتما ، إنما هو الزقز في القرآن الكريم اختلف في (الصراط) مثلا ، أي بالسين أو الصاد أو الظاء لما بين الصوامت الثلاثة من تقارب (الصاد) مفخم السين والظاء النظير المجهور للصاد ، وهو ما يبرر تحول الصوت إلى هذي الصور الثلاث.

٢- البكا : تمد وتقصر ، بل هما (لغتان) صحيحتان.

٣- حسِب يحسَب : وقال بعضهم : حسَب [2] يحسِب ، وفي سورة الكهف [3] : (...الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) قرئ (يحسبون) بفتح السين وكسرها.

٤- أهل الحجاز يقولون : الشفع والوتر بفتح الواو ، وتميم : (الوتر) بكسرها.

وفي سورة الفجر : (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قرئ بفتح الواو وكسرها ، قال البنا الدمياطي [4] : (الفتح لقريش ، والكسر لتميم).

- أهل الحجاز : يقولون (الحج) بفتح الحاء وتميم بكسرها ، وقد قرئ بهما أيضا ، كما تكسر الحاء في بعض اللهجات العربية.

---

(1) السابق ١/٢٦٠ ، ٢٦١.
(2) السابق.
(3) آية ١٠٤.
(4) الإتحاف ، ص٤٣٨.

- أهل الحجاز : يقولون : (ما رأيته منذ يومين ، ومنذ يومان) وتميم : (مذ يومين ومنذ يومان) فيتفق أهل الحجاز وتميم على الإعراب في كلمة : (يومين / يومان) ويختلفون في مذ / منذ ، الحجاز بالنون ، وتميم بدونها.
- أهل الحجاز : وكدت توكيدا ، وتميم أكدت تأكيدا [١].

وتجب الإشارة إلى أن تميم تمثل البيئة البدوية في شرق الجزيرة العربية ، والحجاز تمثل البيئة الحضرية في غرب الجزيرة بما فيها من ترك الهمز والتأني والميل إلى الفتح في مقابل الكسر ، في حين تميل تميم إلى العكس الهمز والسرعة في الكلام والكسر كما مر ، ما سرده الدكتور إبراهيم أنيس ـ رحمه الله ـ ووكده [٢].

وبعد هذا الاستعراض لحجية اللهجات العربية القديمة إذا وافقت قياس العربية ـ كما عبر السيوطي ـ وبتعبير آخر إذا وافقت دستور العربية وخصائصها أو ما يدخل فيما سبق ، ومن ناحية أخرى جاءت قراءات قرآنية ، كما سبق مثلا في (يحسب) بكسر السين وفتحها ، أو في الحج بفتح الحاء وكسرها مثلا مثلا.

(1) راجع المزهر ٢٧٧/٢ وقبلها.
(2) في اللهجات العربية.

المادة السبعون

{٧٠}

المنطق واضح في عمل اللغويين العرب ، فإذا تعارض المانع مع المقتضى أو السبب قدم المانع ، وإذا كان لعالم قولان متعارضان أخذنا بالرأي المعلل ، وأهملنا المرسل ، بدون دليل

المنطق واضح باده في عمل اللغويين العرب ، وفي أصول العربية وأسسها ، فإذا تعارض المانع مع المقتضى أعملنا المانع ، وأهملنا المقتضى أو السبب [1].

فإذا كنا أمام إمالة حضر مقتضاها ، وحانت أسبابها ولكن منع منها مانع ، فإن إعمال المانع وإهمال المقتضى واجب حتما ولزما.

فألفات الفواصل في نهاية [2] الآية إذا تطرفت أي جاءت نهاية الكلمة ، كل هذي الألفات تمال ، كما في سورة طه : (طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ۞ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى...) الإمالة في هذي الأفعال : (لتشقى - يخشى - العلى ...) ألفات في النطق جاءت على رءوس الآي ، ومن ثم أميلت.

(1) الاقتراح للسيوطي ، ص١٦١.
(2) الإتحاف ، ص٧٦.

لكن يمنع من هذا مانع أن تكون هذي الألف المدية (مبدلة من التنوين) كما في المنون المنصوب في ذات السورة ، سورة طه : (أفلا يَرَوْنَ ألا يَرْجِعُ إليْهِمْ قوْلاً وَلا يَمْلِكُ لهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً [1]) هنا تعارض السبب (المقتضى) وهو كون الألف المدية رأس آية ، مع المانع وهو ألا يكون ألف المد مبدلة عن تنوين.

مع الأخذ في الاعتبار أنا نتحفظ على تعبير : (الألف المبدلة من التنوين) إذا لا إبدال - في رأينا - وإنما حدث جمع في الأسماء المدية بين الوقف بالسكون في المرفوع والمجرور وبين الوقف على الحركة الطويلة في المنون المنصوب فقط ، إذ كان الوقف على السكون في الرفع والنصب والجر ، أو الوقف بواو المد عند الرفع وألف المد عند النصب وياء المد عند الجر ، فاختارت الفصحى الوقف على ألف المد في المنون المنصوب ، والباقي بالسكون.

ونقتبس بعض أمثلة من اقتراح السيوطي :

١- (أي) وجد فيها سبب البناء ، وهو مشابهة الحرف ، لكن منع من البناء لزومها للإضافة ، هذي الإضافة هي من خصائص الأسماء ، لذا امتنع البناء هنا.

٢- المضارع المؤكد بالنون وجد فيه سبب الإعراب ، وهي كونه مضارعا ، إلا (أن) التي هي من خصائص الأفعال ، أو بتعبير أدق نون التوكيد تجبر الفعل - أي فعل - على أن يبنى على الفتح ، حيث نون التوكيد - كما ذكر أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين - رحمه الله - هي - في الأصل - عبارة عن همزة مفتوحة ونون ، وقد سقطت الهمزة وبقيت الفتحة والنون ، ليس في المضارع فقط ، بل الأمر أيضا :

(1) آية ٨٩.

- يكتب + أنّ ← يكتبَنّ.
- اكتب + أنّ ← اكتبَنّ.

مع الأخذ في الاعتبار أن نون التوكيد ـ الثقيلة أو الخفيفة ـ لا تدخل الماضي ، الأمر والمضارع فقط يوكدان بالنون ، دون الفعل الماضي.

وهذا منطق الحياة الباده ، فإذا رغب الإنسان في شيء ، فهنا وجد المقتضى والسبب ، فإن منع منه مانع امتنع الإنسان عن ذياك الشيء ، إذا رغب المرء في طعام معين أو شراب ، لكنه تذكر أنه صائم منعه الصيام برغم وجود المقتضى أو الرغبة ، وهكذا.

يحكى أن أحد قواد الجيش أمر جميع القواد بإطلاق النيران على الأعداء ، لكن قائد إحدى الكتائب لم يطلق طلقة واحدة ، وعند سؤاله أجاب عند ١٧ سببا ، ما هي ؟ أولها نفاد الذخيرة تماما ، إذ لم يك في الكتيبة طلقة واحدة ، وهنا انتفض القائد قائلا : إذن باقي الـ ١٦ سببا لا محل لها من الإعراب ، هو مانع قوى لإطلاق النيران ، مهم ورئيس وأساس ، لا يعوزه سبب آخر يوازره أو يعاضده.

على أي حال فكما أن من المنطقي إذا وجد المانع لم يعد للمقتضى محل من الإعراب فكذا إن كان لعالم قولان في مسألة واحدة أخذنا بالرأي المعلل المبرر ، وأهملنا الرأي المرسل بدون دليل ، وهذي أمثلة :

١- قال سيبويه في غير موضع في التاء من (بنت وأخت) إنها للتأنيث ، وقال في باب ما لا ينصرف إنها ليست للتأنيث ، وعلله بأن ما قبلها ساكن ، وتاء التأنيث

في الواحد لا يكون [1] ما قبلها ساكنا ، أما الألف المدية في (قناة وفتاة) فهي ليست ساكنة ، إنما هي حركة طويلة إذ ما قبل تاء التأنيث المربوطة دوما مفتوح ، كما في (مدرسة ـ علامة ـ نسابة) وهكذا.

٢ـ فإذا لم يك تعليل نظر إلى الأليق بمذهب الرجل والأجرى على قوانينه فيعتمد هذا الرأي ، ويتأول الرأي الآخر ما أمكن.

ومرة أخرى مع سيبويه الذي ذكر أن (حتى) ناصبة الفعل ـ أي المضارع ـ ثم قوله : إنها حرف جر ، وهما قولان متنافيان ، فالحرف إما يدخل على الفعل أو الاسم.

فعلم بذلك أن (أن) مضمرة عند سيبويه بعد (حتى) كما تضمر مع اللام الجارة في نحو : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ [2]) فإن لم يمكن التأويل ، ولكن نص في أحدهما عن الرجوع عن الآخر علم رأيه ، وعلم أن الآخر مرجوع عنه.

وإن لم ينص على ما سبق ، بحث عن تاريخ الرأيين وعمل بالرأي المتأخر زمنا ، وعلم أن الأول مرجوع عنه ، وإلا وجب سبر المذهبين ، وفحص حال القولين ، فإن كان أحدهما أقوى نسب إليه أنه قوله إحسانا للظن به ، وأن الآخر مرجوع عنه ، وإن تساويا في القوة وجب أن يعتقد أنهما رأيان له ، وأن دواعي ومبررات الرأيين متساوية أيضا [3].

والآن ننتقل إلى المادة التالية من دستور العربية.

---

(1) الاقتراح ، ص١٦٣ وما قبلها.
(2) ٢ الفتح.
(3) الاقتراح ، ص١٦٣.

المادة الواحدة والسبعون
{٧١}

اللغة العربية لغة منطقية ، الأصل في العربية الجواز وتعدد الأوجه ، والاتجاه الإجباري هو الأقل والشحيح النادر.

اللغة العربية لغة منطقية تمام ، ففي الإعراب اختيرت الضمة ـ وهي أقل عددا وإحصاء بين أختيها الفتحة والكسرة ـ اختيرت للرفع ، حيث كان من نصيب العمد في الجملة : (الفاعل ـ نائبه ـ المبتدأ ـ الخبر ـ اسم كان ـ خبر إن) ... الخ.

في حين اختارت الفتحة ـ وهي الأسهل بين أخويها الكسرة والضمة ـ للفضلة وحواشي الجمل المفاعيل والحال والتمييز وبعض المستثنيات ... الخ.

وحصرت الجر للأسماء المعربة في حرف الجر وفي الإضافة وفي التبعية ، قولا واحدا ، لاشية فيه.

وفي الحروف : قاعدة كلية ، الحروف جميعها مبنية ، وفي الأفعال البناء واضح فاضح ، في الماضي والأمر ، وكذا المضارع هو مبني دوما إذا اتصلت به نون النسوة ، أو نون التوكيد ، فإذا خلا من النونين أعرب ، وهكذا ركزت العربية على بناء الأفعال ، وما أعربت غير المضارع العاطل من النونين ، ولذا من الخطأ

القول بإعراب الأفعال أو إعراب الفعل ، بل نقول : بناء الأفعال ، وفي الإعراب نقول إعراب المضارع الخالي من النونين.

وفيما عدا ما ذكر من الإعراب والبناء فإن الجواز والسماح وتعدد الأوجه أوسع بكثير من دائرة الوجوب والإلزام ، والوجه الملزم الذي لا ثاني له ، إذ الاتجاه الأحادي الإجباري هو الأقل والشحيح والنادر.

ومن رام تفصيلا في هذي النقيطة أمكنه الرجوع دراستنا في كتابنا : ما له وجهان ...

ولكنا نشير إلى مثال واحد فقط ، ومن القرآن الكريم بقراءاته المتعددة ، ففي قوله تعالى : (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ [1]) في (وأرجلكم) قرئ بنصب اللام عطفا على أيديكم ، وقرأ الحسن البصري بالرفع على الابتداء والخبر محذوف ، وقرئ بالخفض عطفا على رءوسكم لفظا ومعنى [2].

وفي دائرة الإلزام منطق واضح ودقة متناهية بعيدا عن العشوائية والسبهللة والفوضوية ، مثال ؟ هذا المثال :

الاسم الواقع بعد لا سيما يصح له الرفع والنصب والجر ، إن كان نكرة ، فإن كان معرفة صح له الرفع والجر ، دون النصب ، لم ولماذا ؟ لأنه إذا نصب سينصب على أنه تمييز وهو نكرة ، ولا يكون معرفة.

مثال آخر : المضارع لا تتصل به تاء الفاعل ، ولا نا الفاعلين ، في حين يدخل الضميران على الماضي فقط ، دون المضارع أو الأمر الذي تتصل به من الضمائر

---

(1) ٦ ، المائدة.
(2) الإتحاف ، ص١٩٨.

المتحركة (نون النسوة) فقط.

لم لم تدخل تاء الفاعل ونا الدالة على الفاعلين على المضارع ؟ لأن حروف المضارعة أغنت عنهما ، قارن.

الماضي   المضارع

أنت كتبتَ - أنت تكتب ← أغنت تاء المضارعة.

أنا كتبتُ - أنا أكتب ← أغنت همزة المضارعة.

هذا المضارع ، فما بال الأمر ؟ إنه صنو المضارع وشبيهه ، فقط مع حذف حرف المضارعة ، قارن :

- أشرب ← شْرب ← اشرب
- يسمح ← سْمح ← اسْمح

ومن ثم قيل يبنى الأمر على ما يجزم به مضارعه ، فهذا ارتباط واضح بين نوعي الفعلين.

على أي حال إذا تعارض مجمع عليه مع مختلف عليه بطبيعة الحال أخذنا بالمجمع عليه ، فإن إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة.

كليمة أخيرة نقولها في شرح هذي المادة ، بهذي الكليمة بختم هذاك الشرح :

إذا تعارض شاذ مع لهجة ضعيفة أخذنا بهذي اللهجة على ضعفها ، وهذا منطق واضح باده.

المادة الثانية والسبعون
{٧٢}

الأساس في علوم العربية السماع وليس القياس ، ومن ثم أعلى شيء هو الأخذ والإملاء من الشيخ (الأستاذ) وهذي طبيعة الحضارة العربية الإسلامية.

أخذ القرآن الكريم ـ مشافهة ـ جبرائيل عن رب العزة ، وأخذ محمد القرآن عن جبرائيل ، وأخذ الصحابة عن نبيهم ، وأخذ التابعون عن الصحابة عن نبيهم ، وأخذ التابعون عن الصحابة.

وهكذا أخذت الأجيال القرآن الكريم جيلا عن جيل ، ورجالا عن رجال مشافهة عيانا بيانا جهارا نهارا.

وهكذا في كل الكتب السماوية ، لم يرسل الله كتابا دون رسول معه لشرحه وتفسيره ، قال تعالى : (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) طريقة القراءة (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [1]).

وعندما مات سيد الخلق ـ فلا نبي بعده ـ ترك لنا : (كتاب الله وعترته) آل بيته ، عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، وعندما قضى هؤلاء بقي العلماء ، فهو ورثة

(1) الآيات ١٦ ـ ١٨، القيامة.

الأنبياء ، فعلماء الأمة مثل أنبياء بني إسرائيل.

ولذا كان الأساس في العربية السماع وليس القياس ، وأعلى شيء هنا هو الأخذ والإملاء عن الشيخ ، وآخر شيء أو أقله الوجادة ، أي الأخذ من الصحف والكتابة ، وهو نفس نظام المراجع الحالي الذي يتيه به بعض الناس ويعتبره بعض الناس إنعاما غربيا لا نظير ، ولا يشق له غبار.

الأساس في الحضارة العربية الإسلامية عند الأخذ والتعلم هو المواجهة والمعاصرة عيانا بيانا جهارا نهارا وبشكل مباشر بين الأستاذ وتلميذه أو مريده.

هذا ورش ذهب إلى نافع من مصر إلى المدينة للقراءة عليه خاصة ، إنه ما خرج لحج أو تجارة ، إنما للقراءة على شيخه خاصة ، ولم يخرج من المدينة إلا بعد أن قرأ على نافع عدة ختمات.

ورش نفسه كان يقرئ تلاميذه في داره بالقاهرة بقراءة التحقيق ، أي القراءة المتأنية ، وفي رباطه بالإسكندرية كان يقرئ بالحدر ، أي القراءة السريعة غير المتأنية.

ابن جني نفسه لازم شيخه أبا علي الفارسي يقيم معه في داره أربعين سنة.

على أي حال فإن السماع إذا تعارض مع القياس فإننا بلا شك نأخذ بالسماع ، ففي قوله تعالى : (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ [1]) القياس في الفعل أن نقول (استحاذ) كما في (استقام ، بدل : (استقوم) ولكن بما أن (استحوذ) مسموع عن العرب فقد أخذنا به ، وأهملنا القياس.

(1) ١٩ ، المجادلة.

مرة أخرى أدلة العربية ، تدور حول : السماع والإجماع والقياس ، السماع وحده يقوم وحده ، ولا يحتاج للأخيرين إذ الإجماع والقياس لابد لهما من مستند من السماع ، كما في الفقه ، إذ الأصل فيه السماع ، ليس القياس [1].

مع ملاحظة أن أركان القياس ـ كما ذكر السيوطي ـ في الاقتراح [2] :
للقياس أربعة أركان ، أصل وهو المقيس عليه ، وفرع وهو المقيس ، وحكم ، وعلة جامعة ، مثل أن تركب قياسا في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله ، فالحكم هو الرفع ، والعلة الجامعة هي الإسناد ، والرفع للأصل الذي هو الفاعل ، وإنما أجري على الفرع الذي هو ما لم يسم فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد.

ونعود إلى السماع الذي هو الأصل ، ومما تختص به العربية ، هذا السماع ، أو هذي الشواهد من أين تأتي يا قارئ دستور العربية ؟

السماع : هذا السماع يأتي لشواهد العربية التي كثيرا ما يشاع أنها شعر العرب في المقام الأول وكلامهم قبل الإسلام وبعده بمائة وخمسين سنة ، هي عصر الاحتجاج ، وإن كان بعض العلماء قد فتح هذه الفترة إلى ما بعدها.

وفي نفس الوقت فإن هناك من يشيع أن النص القرآني لا يصلح شاهدا لتنوع قراءاته التي تتسع لأكثر من وجه لغوي ، وفي ذات الوقت لا يبيحون الاستشهاد بالحديث النبوي لأنه يروي بالمعنى ، ويمكن أن يحمل أكثر من وجه.

أما في القرآن الكريم فإن كل قراءة هي حجة على وجهها أو في وجهها طالما وردت صحيحة السند عن رسول الله (ﷺ) وكذا في الحديث الذي يروي بالمعنى من

(1) الاقتراح ، ص١٥٨.
(2) لمزيد تفصيل انظر ص٩١ وبعدها.

قبل الصحابة (ﷺ).

على أي حال فإن واقع الاستشهاد يشير إلى أن ما سبق ليس صحيحا ، بل إن واقع الحال يشير إلى أن الاستشهاد يقدم القرآن والحديث على شعر العرب ونثرهم.

وهذا ما يؤيده السيوطي ويؤكده تحت عنوان في السماع : وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته ، فشمل كلام الله (ﷻ) وهو القرآن ، وكلام نبيه (ﷺ) وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى زمن فسدت فيه الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا عن مسلم أو كافر ، فهذه أنواع لابد في كل منها من الثبوت [1].

(1) راجع تفصيل ما سبق في الاقتراح ص٥١ وبعدها.

المادة الثالثة والسبعون {٧٣}

أصول النحو بالنسبة للنحو كأصول الفقه بالنسبة للفقه ، النحو معقول من منقول ، والفقه كذلك معقول من منقول.

أصول النحو علم يبحث في أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته ، وكيفية الاستدلال بها وحال المستدِل ، وأدلة النحو كما سلف (السماع والإجماع والقياس).

والأدلة هنا أو الشواهد تدور ـ كما سلف ـ حول القرآن الكريم إذ هو حجة في النحو لأنه أفصح الكلام سواء كان متواترا أم آحادا ، وعن السنة كذلك... وعن كلام من يوثق بعربيته كذلك وعن اجتماع أهل البلدين الكوفة والبصرة ، كل ما سلف يجوز به الاحتجاج ، دون غيره.

فكما أن الفقه معتمد على السماع ، من القرآن والسنة وأقوال الراسخين في العلم ، ثم القياس والإجماع فكذلك النحو ـ وعلوم اللغة ـ يعتمدون على ما سبق.

على أي حال فإن علل النحو هي في غاية الوثاقة والإحكام ، وإذا تأملت عللها أنها غير مدخولة ، ولا متسامح فيها.

وأما ما ذهب إليه غفلة العوام من أن علل النحاة هي واهية ومتحملة ومتحاملة ، واستدلالهم على ذلك بأنها أبدا تأتي تابعة للوجود ، وليس الوجود تابعا

لها ، فهي بمعزل عن الحق.

ولكن هذي الأوضاع والصيغ وإن كنا نستعملها فليس ذلك على سبيل الابتداء والابتداع ، بل على وجه الاقتداء والاتباع.

ولا ننسى تعبير (لغة القرآن) العربية لغة القرآن ، معنى هذا ـ كما سلف ـ أن قواعد العربية وصيغها أيدها الله من فوق سبع سماوات ، نزل بها هذا الكتاب بذات الطريقة في القراءة ، كما أخذها جبرائيل من رب العزة ومن محمد (ﷺ) إلى الآن جيلا عن جيل [1].

وأنا أعطي مثال من علل النحاة التي ربما لا يأبه لها بعض غفلة العوام ، ما هوه ؟ إنه :

حذف التنوين من العلم الموصوف بابن : هذا الحذف له علتان ، الأولى كثرة الاستعمال وتحاشي التقاء الساكنين ـ في رأي ابن عصفور ـ وفي رأي غيره أن شدة ارتباط العلم بصفته (ابن) وكثرة الاستعمال صيرتهما ـ من شدة ارتباطهما ـ كأنهما مضافين.

ولكن لماذا تحذف النون من بين المتضايفين ؟ يجيب ابن جني :

لأنهما ضدان ، ألا ترى أن التنوين مؤذن بتمام ما دخل عليه ، والإضافة حاكمة بنقص المضاف وقوة حاجته إلى ما بعده ـ المضاف إليه ـ فلما كانت هاتان الصفتان على ما ذكرنا تعادتا وتنافرتا ـ وتنافتا ـ فلم يمكن اجتماع علامتيهما ، وأيضا فإن التنوين علم التنكير ، والإضافة موضوعة للتعريف ، وهاتان أيضا فضيتان مندفعتان ، إلا أن الحكم للطارئ من العلمين ـ وهو الإضافة ـ ألا ترى أن

(1) السابق ، ص١١٤.

الإفراد أسبق رتبة من الإضافة ، كما أن التنكير أسبق رتبة من التعريف ، فاعرف الطريق ، فإنها ـ مع أدنى تأمل ـ واضحة.

ونستمر مع العلامة ابن جني يثير قضية أخرى مهمة تهم دستور العربية ، وهي : ما يراجع من الأصول : وما لا يراجع ، يقول صاحب الخصائص : اعلم أن الأصول المنصرف عنها إلى الفروع على ضربين ، أحدهما إذا احتيج إليه جاز أن يراجع ، والآخر ما لا تمكن مراجعته ، لأن العرب انصرفت عنه فلم تستعمله.

ولكن المثال المثال يا عبقري ؟ هذي هي الأمثلة :

١ـ الصرف حق للأسماء المعربة لكنه قد يفارق هذي الأسماء ، إذا احتجت إلى صرفه جاز أن تراجعه فتصرفه ، صرف ما لا ينصرف ما يحتاج إلى شاهد أو شهود.

٢ـ (ومنه إجراء المعتل مجرى الصحيح ، وقد جاء ابن جني بمثال مهم ، أو يهمنا هنا ، هو قول ابن قيس الرقيات :

لا بارك الله في الغواني هل

يصبحن إلا لهن مطلب

حيث جاءت كلمة (غواني) مجرورة بالكسرة الظاهرة ، ليس المقدرة ، بياء لينة مكسورة ، وليس بياء مد.

وهذا ما يؤشر ويشير إلى حقيقة أن الياء المدية ـ وكذا الواو المدية ـ هما في الأصل ياء لينة ، أو واو لينة ، تظهر عليهما الحركات الإعرابية الضمة والفتحة والكسرة ، ثم تراجع الأمر إلى ظهور الفتحة فقط ، كما هو المعلوم المعروف.

ولعل ظهور الحركات الثلاث على الواو والياء اللينتين كان مرحلة سابقة في تاريخ العربية الطويل العريض ، والغامض لدى كثير من الدارسين ، ومعنى هذا أن مثل هذي الإشارات من ابن جني أو غيره مفيدة جدا في إلقاء الضوء على تاريخ العربية.

برغم أننا نأمل في المستقبل أن نجد شواهد لظهور الضمة على الواو والياء والكسرة على الواو إضافة إلى هذا المثال الذي وجدناه في بيت قيس بن الرقيات من ظهور الكسرة على الياء ، الأمل في المستقبل أن نجد ضالتنا التي ننشدها.

أما الثاني الذي لا يراجع ، ولا يرجع عنه فهذا بعض أمثلته :

١ـ افتعل : إذا كانت فاؤه (ص ض ط ظ) فإن تاءه تقلب (تبدل) طاء ، وكذا إن كانت فاؤه (د ذ ز) فإن تاءه تبدل دالا ، فلا يجوز خروج هذه التاء عن أصلها هنا ، أي في تحولها إلى طاء بسبب محاورة (ص ط ظ ض) أو دال مع (د ذ ز).

٢ـ الثلاثي المعتل نحو (باع ـ خاف) لا يراجع أصله أبدا ، إذا لم يأتي الفعل مصحح العين قط (بيع ـ خوف) بتحريك الوسط [١].

على أي حال فإن ما سبق من العودة إلى الأصل أو الرجوع إيه هو جزء من تاريخ العربية ، إذ في العودة إلى الأصل إشارة إلى هذا التاريخ ، فالعودة عن (منع الصرف) معناه العودة إلى مرحلة الصرف لكل الأسماء المعربة ، إذ الأصل فيها جميعا التنوين ، ثم حدث منع لهذا الصرف ، فإذا صرف فإن هذا نوع من العودة إلى الأصل الذي نراه أصلا تاريخيا وليس افتراضيا من مخترعا ، كما يتوهم واهم واهل.

---

(1) الخصائص ٢/ ٣٥٠.

وكذا في ظهور الكسرة على الياء ، وفي وسط الأجوف (قال - ضاع) الأصل : (قول - ضيع) بواو وياء لينتين متحركتين ، هذه مراحل سلفت في تاريخ العربية ، وليس أصلا مخترعا مختلقا.

الخاتمة

المادة الرابعة والسبعون
{٧٤}

للغوي آداب يجب عليه الالتزام بها
فما هي ، وما هيه ؟

نقتبس طرفا منها من العلامة السيوطي في المزهر ، فعلى رأس هذي [1] الآداب :

١- الإخلاص وتصحيح النية : لقوله (ﷺ) : (الأعمال بالنيات) ثم التحري في الأخذ عن الثقات (إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم) ولا شك أن علم اللغة من الدين ؛ لأنه من فروض الكفايات ، به تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة.

القرآن كتاب الله وتنزيله ، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، مما يأتون ويذرون ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذي اللغة.

واستمرارا مع آداب اللغوي ، ننتقل إلى :

٢- الدأب وملازمة العمل.

٣- الكتابة والقيد : في الحديث : قيدوا العلم بالكتابة.

٤- الرحلة : في طلب العلم.

٥- حفظ الشعر والأقوال المأثورة.

٦- التثبت في الرواية.

٧- الرفق بمن يأخذ عنهم ، ويتلمذ عليهم.

---

(1) المزهر ٢/٣٠٢ وبعدها.

وقد أخذت نفسي بالدأب وشديد الاجتهاد ، أذكر أنجزت رسالة الماجستير في كلية دار العلوم ـ منتصف سبعينات القرن الماضي ـ خلال أحد عشر شهرا دأبا دأبا ، ما أثار دهشة كثيرين ، منهم أستاذي الدكتور كمال بشر ، بل رآها بعض الباحثين الأدق والأحق.

وأذكر أيضا أنني بقيت ما يزيد عن ١٢ عاما أسهر الليل بطولة حتى الصباح إلى أن حذرني بعض زملائي من خطورة السهر على صحتي ، وقد حاولت الانخلاع عن هذي العادة ، ولم أقدر إلى الآن ، فقط تمكنت من تقليص ساعات السهر ، وإلى حد ما.

أما عن الرحلة في طلب العلم فقد تركت مدينتي (ههيا) بمحافظة الشرقية إلى القاهرة ١٩٦٦ في دار علومها حتى حصلت الليسانس ١٩٧٠ ، والماجستير ١٩٧٧ ، والدكتوراه عام ١٩٨٣ ، إلى أن حصلت على الأستاذية ، وإلى أن أصبحت عضوا في لجنة ترقية الأساتذة هذا العام ٢٠١٣م.

بل بدأت رحلاتي للعمل والدراسة في عدة جامعات مصرية وغير مصرية ـ وقبلها المدارس ـ من عام تخرجي في دار العلوم ١٩٧٠.

أما رحلاتي الخارجية والتي بدأت بنيجيريا ١٩٨٣ ، ثم ماليزيا ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢ ، وأكرانيا ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩، وتايلاند ٢٠٠٩ ـ ٢٠١١م ، بل زرت عديدا من الدول العربية وغير العربية ، في العام الماضي فقط حضرت مؤتمرين في أندونيسيا وثالث في ماليزيا ، ثم زرت تايلاند في أكتوبر الماضي (٢٠١٢) فضلا عما لا يحصى من المؤتمرات والندوات في مصر العامرة المحروسة بأمره تعالى ، وفي غيرها من البلدان العربية.

وأحاول تقييد العلم بالكتابة ، فالعلم صيد والكتابة قيد ، كما أنني أمتهن الكتابة ، وعندي كتابات لا تنتهي في مواضيع شتى ، إضافة إلى أنني أتثبت من رواية أي شيء ، وأتحرى ما أقول في أي موضوع ، وأرفق بمن أخذ عنهم ، وكذا من يأخذون عني ويتلمذون عليّ ، حتى أنني كثيرا ما أدعو لهم بدعوة سيدي (ﷺ) : (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

وفـي خاتمـة الدسـتور بـضع صـفيحات نـسطرها ، فمـا بقـي لـدينا مـن مـواد الدستور ما نـسرده على قـارئ العربيـة إلا مـادة واحدة ، نوحـد بهـا خـالق السماوات والأرضين ، حامدين المولى (ﷻ) على تمام نعمائه بالوصول إلى نـهاية سطورنـا عن دستور لغتنا العربية ؛ إذ هو عمل فريد ، لـيس فـي لغـة العرب ، لكنـي مـا رأيتـه ولا سـمعت بـه أذنـي فـي اللغيـات غيـر العربيـة علـى كثرتهـا ، والله المستعان ، وعليـه التكلان.

المادة الخامسة والسبعون

{٧٥}

حظيت العربية بجيوش جرارة من العلماء والأفذاذ من العرب ومن غيرهم ، ومن المستعربين حتى غدت على هذي الصورة من الجمال والكمال والاكتمال بدءا من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب مكتشف الصرف والنحو إلى يوم الناس هذا.

ما أسعد العربية بفرسانها من عرب ومن مستعربين ، وقد بدأ هذا النهر الدفاق العاتي من أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي خطط ورسم ، ثم أعطى تلميذه أبا الأسود لينسج على نياك المنوال :

جاء في تاج العروس [1] : قال عليّ (عليه السلام) بعد أن علم أبا الأسود الاسم والفعل وأبوابا من العربية : انح على هذا النحو.

أي أن علمي الصرف والنحو بدآ بأمير المؤمنين (عليه السلام) وتلميذه النجيب أبي

(1) مادة (ن ح و).

الأسود [1] ، حيث خطط الإمام عليّ ، ونفذ تلميذ ، أو نحا نحو أستاذه العظيم.

ومن البدهي أن تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل هي مسألة صرفية بحتة ، إذ خطط الإمام عليّ للصرف والنحو كليهما ، وبقي العلمان في إطار واحد ، وتحت مسمى واحد ، هو (النحو) إلى أن تم استقلال الصرف تحت عنوانه المستقل على يد معاذ الهراء ، كيف ؟.

ذكر قبلُ في دستور اللغة العربية : الهراء هذا نسب إليه أول من وضع التصريف (ت ١٨٧ هـ) وما أفهمه هما مما سبق أن هذا الرجل أول من فرق بين الصرف والنحو ، وجعل الصرف أو (التصريف) مستقلا عن النحو.

وبرغم هذا لا يزال كثير من الناس يخلط بين الصرف والنحو ، أو يعتبرهما شيئا واحد ، فلقد ـ والله ـ قرأت في توصيف المقررات في إحدى الكليات خلطا بين الصرف والنحو وتصورا بأنهما شيء واحد ، وهو خطأ واضح ، صريح وصراح ، بل إن تقديم النحو على الصرف بقولنا (النحو والصرف) هو خطأ أيضا ، إذا المنطق والبداهة تفرضان أن يكون الترتيب (الصرف والنحو) ليس : (النحو والصرف).

على أية حال أشرف أنعِم بعلمين أسسهما أو اكتشف قواعدهما سيد العرب ، عليّ (عليه السلام) ومن بعده ، وعلى خطاه تلميذه أبو الأسود الدؤلي (ت ٥٧ هـ).

وعلى رأس من خدم العربية سيبويه ـ وما أدراك ما سيبويه ـ أول من كتب في كتاب وسم بالكتاب ، تحدث عن الصرف والنحو ، بل والأصوات ، فسيبويه أول من وصف الأصوات العربية باللغة العربية في اللغة العربية ، ولا يزال هذا الوصف

(1) توفي ٦٧ هـ.

وذياك التصنيف السيبويهي صحيحا إلى حد كبير وإلى الوقت الراهن ، توفي سيبويه ١٨٠هـ.

الخليل بن أحمد صاحب العين ، ومكشف العروض ووزن الشعر ، فضلا عن إصلاح الكتابة العربية وضع رموز لألفي الوصل والقطع ، والسكون الخفيف والشديد : (أ أ هـ) ورموز الحركات القصار ... إلخ ، توفي الخليل ١٧٠ هـ.

نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ) ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ) وقد أخذا عن أبي الأسود الدؤلي ، لقد أعاد الرجلان ، ابن عاصم وابن يعمر ترتيب الحروف من (أبجد هوز حطي كلمن ...) إلى الترتيب الأبتثي الحالي : (أ ب ت ث ج ح خ ....) بدآ بالألف ، ثم الحروف المتشابهة إلى جانب بعضها ، وميزاها بالنقط - كما ترى - ثم الحروف التي ليست متشابهة إلى جانب بعضها ، وهي (ك ل م ن هـ و ي).

وغير هؤلاء كثيرون كثيرون ، جيوش جرارة جرارة ، ويكفي أن يرجع القارئ إلى كتاب (الكامل ...) ليرى بعض الأسماء اللامعة من فرسان العربية الذين دأبوا ، عاكفين مجتهدين متفانين في خدمة العربية.

وإلى يوم الناس هذا تستمر هذي الجهود المباركات إلى الآن ، ونشير بعض أسماء العرب ممن خدم عربية بني يعرب ، رحمهم الله جميعا :

- د. إبراهيم أنيس ، توفي ١٩٧٧/٦/٨م.
- د. رمضان عبد التواب ، توفي ٢٧ أغسطس ٢٠٠١م.
- د. عبد الصبور شاهين مساء الأحد ، ٢٠١٠/٩/٢٦م عن ٨٢ عاما.
- د. عبده الراجحي ، توفي ٢٠١٠/٤/٢٦م.
- د. شوقي ضيف ٢٠٠٥/٣/١٣م.

فضلا عن عديد من المعاصرين - أمد الله في عمرهم وأبقاهم دوما ذخرا للعربية - ومنهم أستاذنا الدكتور كمال بشر ، الذي نيف الآن عن تسعين عاما.

أما المستشرقون فقد خدم العربية منهم ما لا يحصى من هؤلاء القوم ، حيث إن العربية تجتذب أفضل العناصر من هؤلاء القوم :

- أوجست فيشر المستشرق الألماني (١٨٦٥ - ١٩٤٩) الذي بقي عشرات السنوات يحلم بمعجم عربي حديث حتى أسس هذا المعجم في مجمع اللغة العربية الذي أصدر :
- المعجم الوجيز.
- المعجم الوسيط.
- المعجم الكبير الذي صدرت منه إلى الأبد - مارس ٢٠١٣ - سبعة مجلدات ، وصلت إلى حرف الدال ، وقد تأكدت بنفسي من أن مجمع الخالدين لم يجاوز ما سبق ، والمعجم التاريخي في الطريق ، وإن كانت بعض الجهود تبذل الآن في الإمارات بتمويل قطري ، وبرياسة الدكتور عزمي بشارة ، وباشتراك عديد من الباحثين العرب لإخراج معجم تاريخي للغة العربية ، والمقرر له خمسة عشر عاما ، نأمل أن يُفاد من جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وأن ينجز المشروع في وقت مناسب ، وأن يكون لمصرنا دور مناسب في هذا العمل العملاق.
- هيوم حوراني المستشرق الأمريكي (١٩٣٤ - ٢٠٠٥) والسفير الأسبق لدى المملكة العربية السعودية ، فكان مما قال عن العربية :
  - العربية أكثر لغات الأرض وشيجة مع السماء.

- يبدو الأمر (في العربية) وكأنه التحام نطفة بأخرى في إطار يستمد أصوله من العقيدة حيث المد عميق وكثيف [1].

- كيس فيرستيخ : في الجامعة الكاثوليكية مدينة (نيمخن) الهولندية ، حرر العدد الخاص من المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي وكتب مقدمة الإصدار ، الذي جاء بعنوان : Arabic outside the Arab world ، وقد ترجمنا الإصدار كاملا مع مقدمته ، كما سبق.

كما كتب فيرستيخ مؤلفه المهم :

اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيراتها ، وقد ترجم الكتاب ، وطبع في مصر العامرة سنة ٢٠٠٣ ، وقد زار مصر قبلها بعام ، عام ٢٠٠٢ حين شارك في مؤتمر اللغة العربية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، قابلناه وأعطيناه بعض المترجمات لمقالات المجلة الهندية ...التي حررها.

ولله الحمد والمنة ،،،

(1) الحملة الأمريكية ... ترجمة محمد الخولي ، ص٤٤١ ، تقاعد هوزان ١٩٩٨ ، وتفرغ لتدريس في كوريا ١٩٩٨.

فهرس المحتويات